

## **الفصل الثاني**

### **الإطار النظري للدراسة**

**أولا : فاعلية الذات .**

**ثانيا : التوافق الشخصي والاجتماعي .**

**ثالثا : المناخ الأسري.**

**رابعا : المراهقة .**

## تمهيد:

يتناول هذا الفصل المفاهيم الأساسية لمتغيرات الدراسة وعرض منطلقاتها النظرية ، والإطار العام لها والعلاقة القائمة بين عوامل ومتغيرات الدراسة من خلال عدة محاور تتضمن عرض مفاهيم فاعلية الذات ، والمناخ الأسري (السوي - غير السوي) والتوافق الشخصي والاجتماعي للمراهقين من طلاب التعليم الثانوي العام بنمطيه (الموحد - المختلط).

وسوف تعرض الباحثة الحالية هذه المتغيرات على النحو التالي:

**أولاً : فاعلية الذات.**

**ثانياً : التوافق الشخصي والاجتماعي.**

**ثالثاً : المناخ الأسري (السوي - غير السوي).**

**رابعاً : المراقبة.**

**أولاً : فاعلية الذات: Self – Efficacy**

من أكثر المفاهيم النظرية والعلمية أهمية في علم النفس الحديث ذلك الذي وضعه باندورا Bandura تحت إسم توقعات فاعلية الذات Self – efficacy expectations أو معتقدات الفرد عن قدراته لينجز بنجاح سلوكاً معيناً ، أو مجموعة من السلوكيات ، وهذه المعتقدات تؤثر على سلوك الفرد ، وأدائه ، ومشاعره ، ويؤكد باندورا على أن معتقدات الفرد عن فاعليته الذاتية تظهر من خلال الإدراك المعرفي للقدرة الشخصية ، والخبرات المتعددة سواء المباشرة أو غير المباشرة .

(Bandura, 1982: 122 – 127)

وتقوم نظرية فاعلية الذات على أساس الأحكام الصادرة من الفرد عن قدرته على القيام بسلوكيات معينة ، والفاعلية الذاتية ليست مجرد مشاعر عامة ، ولكنها تقويم من جانب الفرد لذاته عما يستطيع القيام به ، ومدى مثابرتة ، وللجهد الذي سيبذله ، ومرونته في التعامل مع المواقف الصعبة والمعقدة ، وتحديه للصعاب ومقاومته للفشل .

وتعد فاعلية الذات من أهم ميكانيزمات القوى الشخصية لدى الأفراد ، حيث تمثل مركزاً هاماً في دافعية الأفراد للقيام بأي عمل أو نشاط ، فهي تساعد الفرد على مواجهة الضغوط التي تعترضه في مراحل حياته المختلفة.

(عواطف حسين صالح ، ١٩٩٣ ، ٤٦١)

ويؤكد باندورا Bandura (١٩٧٧) على أن مفهوم الفرد عن فاعليته الذاتية يظهر من خلال الإدراك المعرفي لقدرات الفرد الشخصية ومن خلال تعدد الخبرات التي يمر بها الفرد حيث تعمل هذه الخبرات على مساعدة الذات في التغلب على الضغوط التي تواجهه ، وهذه الخبرات لممارسات إذا كانت تتسم بالفشل فإنها قد تعوق الذات عن القيام بوظائفها

الإيجابية، وتتضح الفاعلية الذاتية في الإدراك الذاتي لقدرة الطالب على أداء الأنشطة الأكاديمية المختلفة مما يحقق نتائج مرغوبة من النجاح في العمل الدراسي.

(Bandura, 1977 : 191-215)

كما يرى باندورا Bandura (١٩٨٣) أن فاعلية الذات ليست سمة ثابتة أو مستقرة في السلوك الشخصي بل هي مجموعة من الأحكام لا تتصل بما أنجزه الفرد فقط ، ولكن أيضا بالحكم على ما يستطيع إنجازه ، وأنها نتاج للمقدرة الشخصية .

(Bandura, 1983: 464-469)

ويعد مصطلح الذات من المصطلحات القديمة في مجال علم النفس إلا أن معاني الذات تغيرت عبر رحلة طويلة من القرون، فقد ناقشه الفلاسفة في الشرق والغرب علي أنه "الروح" Soul وأحيانا أخرى بمعنى "الذات" Self وأحيانا أخرى بمعنى "الأنا" Ego . فما هي الذات وكيف تنمو؟ الذات ليست ظاهرة حديثة ولكنها مفهوم نظري انساب مع تيارات الفكر الفلسفي والسيكولوجي منذ القرن السابع عشر عندما ناقش الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" Descartes لأول مرة "المدرّك" أو الذات "كجوهر مفكر" كما خضعت بعده للفحوص الفلسفية القوية بمعرفة فلاسفة مثل "ليبنتز" Leibntiz ، و "جون لوك" Locke ، و "هيوم" Hume ، و "بيركلي" Berkeley . وعندما تطور علم النفس منفصلا عن الفلسفة تحركت الذات معه كتكوين متعلق به، ومع بداية القرن العشرين أخذت معظم النظريات النفسية تتبنى مفهومي "الذات" self و"الأنا" Ego كمفهومين مهمين في دراسة الشخصية والتوافق النفسي، وبعض النظريات اختلفت حول طبيعة الذات وبنيتها وتركيبها وأبعادها ووظائفها واختلفت أيضا حول تعريفها ، وقد وجد العلماء أنه لا يمكن الكتابة في علم النفس دون الاهتمام بالذات، ومنذ العقد الرابع من القرن العشرين أخذت الذات وضعها الطبيعي في دراسات علم النفس ، وأصبح مفهوم الذات الآن ذا أهمية واسعة ويحتل مكان الصدارة في الإرشاد والعلاج النفسي.

(محمد عبد السلام سالم ، ٢٠٠٢ : ٨٩-٩٠)

ويعرف حامد زهران (١٩٩٨) الذات بأنها "كينونة الفرد أو الشخص وتنمو وتتفصل تدريجيا عن المجال الإدراكي" . وتتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة وتشمل الذات المدركة والذات الاجتماعية والذات المثالية .

ويتداخل مصطلحا مفهوم الذات وتقدير الذات Self-Esteem بدرجة كبيرة إلا أن تقدير الذات يشير إلى تقييم الشخص لنفسه وقدراته التي يعتقد أنها متوافرة لديه والتي ترتبط بنجاحه وجدارته التي يستحقها سواء من وجهة نظره أو وجهة نظر الآخرين.

(Brody & Ehrilichman, 1998 : 3)

ولقد انبثق مفهوم فاعلية- الذات من مفاهيم ومبادئ التنظيم الذاتي للتعلم Self-Regulated Learning ويقصد بالتنظيم الذاتي للتعلم "قدرة الطلاب على المشاركة الفعالة في عملية تعلمهم دافعيًا و سلوكيًا ومن جوانب ما وراء المعرفة" .

(Zimmerman, 1989 : 4)

ومثل هؤلاء الطلاب يستخدمون طبيعتهم الإنسانية ، وما يملكونه من قدرات في تحصيل المعرفة والمهارة أكثر من اعتمادهم على المدرسين أو الوالدين وحتى يمكن القيام بتعديل التنظيم الذاتي للتعلم الأكاديمي لدى الطلاب يجب استخدام إستراتيجيات خاصة بتحقيق الأهداف الأكاديمية المؤسسة علي إدراكات فاعلية الذات التي هي إحدى القدرات الإدراكية التي تقوم بتنظيم وإتمام التفاعلات الضرورية لإتمام المهارة اللازمة للقيام بمهام معينة .

(Bandura, 1986 : 9)

ويؤكد باندورا Bandura (١٩٧٧) على أن مفهوم الفرد عن فاعليته الذاتية يظهر من خلال الإدراك المعرفي لقدرات الفرد الشخصية ومن خلال تعدد الخبرات التي يمر بها الفرد حيث تعمل هذه الخبرات على مساعدة الذات في التغلب على الضغوط التي تواجهه وهذه الخبرات والممارسات إذا كانت تتسم بالفشل فإنها قد تعوق الذات عن القيام بوظائفها الايجابية، وتتضح الفاعلية الذاتية في الإدراك الذاتي لقدرة الطالب على أداء الأنشطة الأكاديمية المختلفة مما يحقق نتائج مرغوبة من النجاح في العمل الدراسي.

(Bandura, 1977:191)

كما يعد التنظيم الذاتي للتعلم Self-Regulated Learning أحد الأساليب الحديثة والمهمة في تناول الإنجاز للطلاب ، فالطلاب ذوو فاعلية الذات الموجهة نحو التفوق التحصيلي يكونون موجهين نحو تطوير مهارات جديدة، وتحسين مستوى كفاءتهم على أساس معايير الذات.

(Ames, 1992: 97, 262)

وأشار شنك Schunk (١٩٩٤) في دراسة له بعنوان : الدافعية نحو التنظيم الذاتي للتعلم : دور عزو الأداء ، أن التنظيم الذاتي الفعال يتطلب امتلاك الطلاب للأهداف والدافعية لإحراز تلك الأهداف ، وأشار إلى أن تكوين العزو المناسب (معتقدات الطلاب نحو أسباب نواتجهم) الدافعية ، كما أكد على أن التنظيم الذاتي يعتمد على تكوين الطلاب للعزو الذي يزيد من جهودهم ويرفع فاعليتهم الذاتية.

(Schunk, D.H,1994)

كما توصلت دراسة كاريكا وبنتريش Pintrich & Carica (١٩٩١) بعنوان "دافعية الطلاب والتنظيم الذاتي" إلى تصميم نموذج بنائي للعلاقات بين الدافعية الداخلية وفاعلية

الذات والتنظيم الذاتي للتعلم وذلك باستخدام برنامج LISREL حيث تضمن النموذج وضع البيانات الدافعية (الدافعية الداخلية) وفاعلية الذات على أنها مقدمات للتنظيم الذاتي للتعلم وأن الدافعية الداخلية لها تأثير إيجابي على فاعلية الذات ، كما أن معتقدات الطالب حول استعداداته (الفاعلية الذاتية) تؤدي إلى مستويات مرتفعة من التنظيم الذاتي.

(منى حسن بدوي ، ٢٠٠١ : ١٧٢)

والتعلم لا يتم إلا من خلال وسط اجتماعي سوي يوفر للمتعلم عملية التأثير والتأثر بين ذلك المتعلم والجماعة أثناء عملية التفاعل.

ويشير زيمرمان Zimmerman (١٩٨٩) وفقاً لافتراضات المعرفة الاجتماعية أنه يوجد ثلاثة مجموعات من العوامل تحدد عملية التنظيم الذاتي للتعلم وهي : "العوامل البيئية ، العوامل الشخصية ، والعوامل السلوكية"، وطبقاً لرأي باندورا Bandura (١٩٨٦) فإن هناك فروقاً واضحة بين أثر كل من تلك العوامل في تحديد التعلم الأكاديمي المنظم ذاتياً، ورأي أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي التي أسسها باندورا Bandura أنه لا يتم تحديد التنظيم الذاتي للتعلم بالعوامل الشخصية فقط، ولكن يشترك في ذلك كل من المؤثرات البيئية، والمؤثرات السلوكية.

(Zimmerman, 1989: 1-25)

ولقد قرر باندورا Bandura (١٩٨٦) أن التبادل لا يعني تماثلاً في القوة ، كما أنه لا يعني نموذجاً زمنياً ثابتاً للتأثير Bi-directional فالمؤثرات البيئية ربما تكون أقوى من المؤثرات السلوكية أو من المؤثرات الشخصية في بعض العلاقات أو عند بعض نقاط معينة أثناء التفاعل السلوكي .

ويعتبر نموذج فاعلية الذات من المكونات الهامة للنظرية المعرفية الاجتماعية Social cognitive theory لـ "باندورا" Bandura والتي افترضت أن سلوك الفرد والبيئة والعوامل الاجتماعية تتداخل بدرجة كبيرة ، فالسلوك الإنساني في ضوء نظرية "باندورا" يتحدد تبادلياً بتفاعل ثلاث مؤثرات هي "العوامل الذاتية" Personal Factors ، "العوامل السلوكية" Behavioral Factors ، "العوامل البيئية" Environmental Factors . وينظر "باندورا" إلى العلاقة بين تلك العوامل على أنها : علاقة تبادلية ثلاثية الاتجاه حيث أطلق عليها "التبادلية الثلاثية"

(Clarck and Zimmerman, 1990)

ويعني ذلك أن أساس نظرية التعلم المعرفي الاجتماعي عند باندورا Bandura هو فكرة الحتمية التبادلية (الدائرية) Reciprocal Determinism .

## • نظرية فاعلية الذات "ألبرت باندورا" (١٩٧٧):

إنطلق باندورا Bandura (١٩٧٧) في تنظيره للفاعلية الذاتية من اعتقاده بأن التأثير المرتبط بالمشيرات يأتي من الدلالة التي تعطيها الفاعلية التنبؤية predictive efficacy للفرد وليس من كون هذه المشيرات مرتبطة علي نحو آلي بالاستجابات، وقد نظر باندورا للفاعلية الذاتية علي أنها أحكام الفرد أو توقعاته عن أدائه للسلوك في مواقف تتسم بالغموض أو ذات ملامح ضاغطة Stressful. وتنعكس هذه التوقعات في اختيار الفرد للأنشطة المتضمنة في الأداء والمجهود المبذول والمثابرة ومواجهة مصاعب إنجاز السلوك. ولقد حدد باندورا Bandura (١٩٨٢) توقعات الفاعلية الذاتية كعملية استدلالية تشتق من مساهمات علاقة لكل من القدرة وعوامل لا تتصل بالقدرة من قبيل إدراكات ذاتية لهذه القدرة Self – Perceptions of Ability وكمية المجهود وصعوبة المهمة، وظروف الموقف، وتأثيرات النجاح أو الفشل.

ويري حمدي الفرماوي (١٩٩٠ : ٣٧٣) أن باندورا يفرق في نظريته بين توقعات الفاعلية الذاتية، والتوقعات الخاصة بمنتج السلوك أو المخرجات. ويبدو ذلك من خلال الشكل التالي:

### شكل (١) يوضح الفرق بين فاعلية الذات وتوقعات النتائج



ويعني ذلك أن توقعات الفاعلية الذاتية تسبق توقعات الفرد عن ناتج أو مخرجات السلوك ويقرر باندورا (Bandura, 1986) أن كلاً من الفاعلية الذاتية والتوقعات عن المخرجات ميكانيزمان يتدرجان فيما يسمى بالتقييم الذاتي Self-evaluation وهما يحددان معاً إنجاز السلوك علي نحو ما.

وأشار هوايت White (1959) في هذا المجال إلى أن الإنسان يحاول جاهداً أن يكون مؤثراً أثناء تفاعله مع البيئة، وقد أعاد باندورا (Bandura 1977) صياغة فكرة الكفاءة الذاتية والسيادة على البيئة في نظرية باسم "فاعلية الذات" Self-Efficacy وترتكز هذه النظرية على "درجة الإدراك" التي تؤهل الفرد لإنتاج وتعديل وتنظيم سلوكه في الحياة.

ويشير "جابر عبد الحميد" (١٩٩٠ : ٤٤١) إلى أن "باندورا" قد توصل إلى نظرية عن فاعلية الذات (١٩٧٧) بتحقيق توازن بين مكونين أساسيين لبناء النظرية وهما "التأمل الإبداعي"، الملاحظة الدقيقة". وبذلك فهو يختلف عن كل من "فرويد" و "يونج" و "أدلر" (Freud, Jung, Alder) حيث نجدهم قد وضعوا نظرياتهم بناءً على ملاحظاتهم وخبراتهم الكلينيكية، كما أنه يختلف عن كل من "دولارد" و "ميلر" و "سكينر" (Dollard, Miller, Skinner) لأن نظرياتهم أقيمت على دراسات وتجارب أجريت على الحيوان، بينما نظرية فاعلية الذات تقوم على بيانات مستمدة بعناية من دراسة الإنسان.

ويذكر فرانك بيجرز Frank pojaris (١٩٩٦ : ١٦) أن باندورا حدد عدة حالات يمكن من خلالها تعميم أحكام الفاعلية الذاتية عبر النشاطات المختلفة وهي:

١- عندما تتطلب المهمات المختلفة نفس المهارات الفرعية، فمن الممكن في هذه الحالة توقع أن أحكام الفرد حول قدرته علي إظهار المهارات الأساسية، يعني أنه يستطيع أن يؤدي مهاماً مختلفة.

٢- إذا كانت المهارات المطلوبة لإتمام نشاطات مختلفة، مهارات متلازمة أي يتم اكتسابها معاً، فإنه إذا اعتقد الفرد أنه يستطيع أداء أحد هذه الأنشطة فهو بالتالي يستطيع أداء باقي الأنشطة.

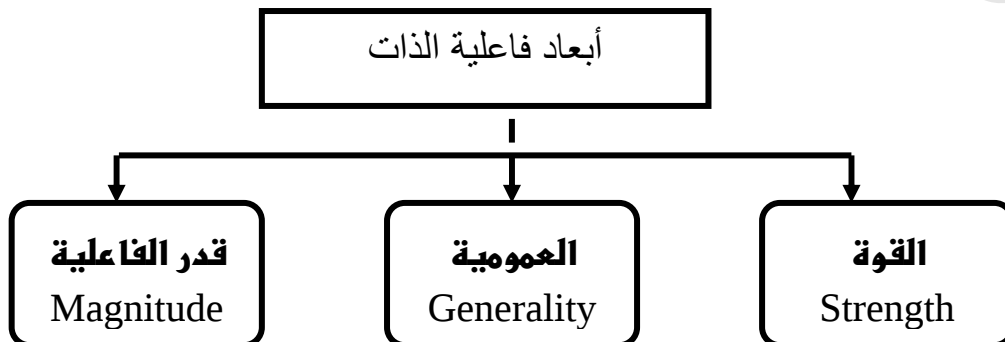
٣- أيضاً هناك ما يسمى "تحول الخبرات" Transforming Experiences وهو نتيجة لتحقيق شيء صعب، فهذا الانجاز القوي، يقوي اعتقادات الفرد في فاعليته الذاتية عبر مساحات متنوعة وغير مترابطة من النشاطات، فعلي سبيل المثال "طلبة الدكتوراه عندما ينجزون أطروحتهم، فإن ذلك يمكن أن يعدل بشكل مثير من ثقتهم في التعامل بنجاح مع نشاطات وأحداث غير مرتبطة بمجال علمهم".

وقد أجريت بعض الدراسات لمعرفة الفروق الجنسية في الفاعلية العامة الذاتية وذلك لمعرفة قدرة هذا المتغير علي التنبؤ بسلوك الأفراد، ففي دراسة "زانج" وسكوارزر (١٩٩٥) لبناء وتقنين مقياس الفاعلية العامة للذات، طبق الباحثان المقياس علي عينة من (٢٩٣) من طلاب الجامعة، وقد أكدت النتائج علي أن الذكور أعلي من الإناث في الفاعلية العامة للذات، وأشار الباحثان إلي أن هذه النتيجة تتسق مع النتائج التي حصلوا عليها من عينات سابقة.

( Zhang – Jian- xin, schwarzer, Ralf, 1995, 174- 181)

وفي هذا الصدد نجد أن "باندورا" Bandura قدم نظرية متكاملة لمصطلح فاعلية الذات ، فحدد له ثلاثة أبعاد هي (قدر الفاعلية Magnitude ، العمومية Generality ، القوة Strength) ويتضح ذلك من خلال الشكل التالي :-

شكل (٣) يوضح أبعاد فاعلية الذات



### أ- قدر الفاعلية: Magnitude

وهو يختلف تبعاً لطبيعة أو صعوبة الموقف، ويتضح قدر الفاعلية عندما تكون المهام مرتبة وفق مستوى الصعوبة، والاختلافات بين الأفراد في توقعات الفاعلية، ويتحدد هذا البعد كما يشير باندورا "Bandura" من خلال صعوبة الموقف، ويظهر هذا القدر بوضوح عندما تكون المهام مرتبة من السهل للصعب ، لذلك يطلق على هذا البعد "مستوى صعوبة المهمة" . Level of Task Difficulty

(Bandura, 1977 : 85)

ويشير علاء الشعراوي (٢٠٠٠ : ٢٢٣) إلى أن الطلاب رغم ارتفاع مستوى فاعلية الذات لديهم قد لا يقبلون على مواقف التحدي في الفصل، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن مستوى الخبرة أو المهارة العام داخل الفصل أعلى من مستوى الطلاب، كما أن الطلاب قد يفتقدون المعلومات السابقة أو الاستراتيجيات الضرورية للأداء الجيد في الفصل.

### ب- العمومية: Generality

ويشير هذا البعد إلى انتقال فاعلية الذات من موقف ما إلى مواقف مشابهة ، فالفرد يمكنه النجاح في أداء مهام مقارنة بنجاحه في أداء أعمال ومهام مشابهة.

(Bandura, 1977 : 84 – 85)

وتختلف درجة العمومية من فرد لآخر ، فبعض الطلاب قد يشعرون بقدرتهم على الأداء الجيد في أي موقف أكاديمي ، والبعض الآخر يشعرون بثقتهم في أنفسهم في بعض المواقف على اختلافها، أما البعض الثالث فقد تكون فاعلية الذات لديهم ضعيفة في كل المواقف والمجالات ، وهنا يشير بروننج وزملاؤه Bruning, Schraw & Ronning (١٩٩٥ : ١٣٢) إلى أن فاعلية الذات في مجال معين (علوم أو كتابة أو غيره) قد لا ترتبط بفاعلية الذات في المجالات الأخرى، وبالرغم من ذلك فإن هذا لا يعني أنه لا توجد فاعلية ذات عامة.

ويتفق هذا الرأي مع ما أشار إليه سكارزر Schwarzer (١٩٩٩ : ٢) في أن الفرد قد تكون ذاته فعالة في نطاق خاص، فالفرد يستطيع أن يكون أكثر أو أقل في الاعتقاد في ذاته في المجالات المختلفة، وبالرغم من ذلك فهناك مفهوم عام لفاعلية الذات يطلق على الثقة العامة عبر مدى واسع من المجالات أو المواقف.

### ج- القوة: Strength

إن المعتقدات الضعيفة عن الفاعلية تجعل الفرد أكثر قابلية للتأثر بما يلاحظه ويتابعه، ولكن الأفراد مع قوة الاعتقاد بفاعلية الذات في أنفسهم يثابرون في مواجهة الأداء الضعيف، ولهذا فمن الممكن أن يحصل طالبان على درجات ضعيفة في مادة ما، أحدهما أكثر قدرة على مواجهة الموقف وهذا تكون فاعلية الذات لديه مرتفعة، والآخر لا يستطيع مواجهة الموقف،

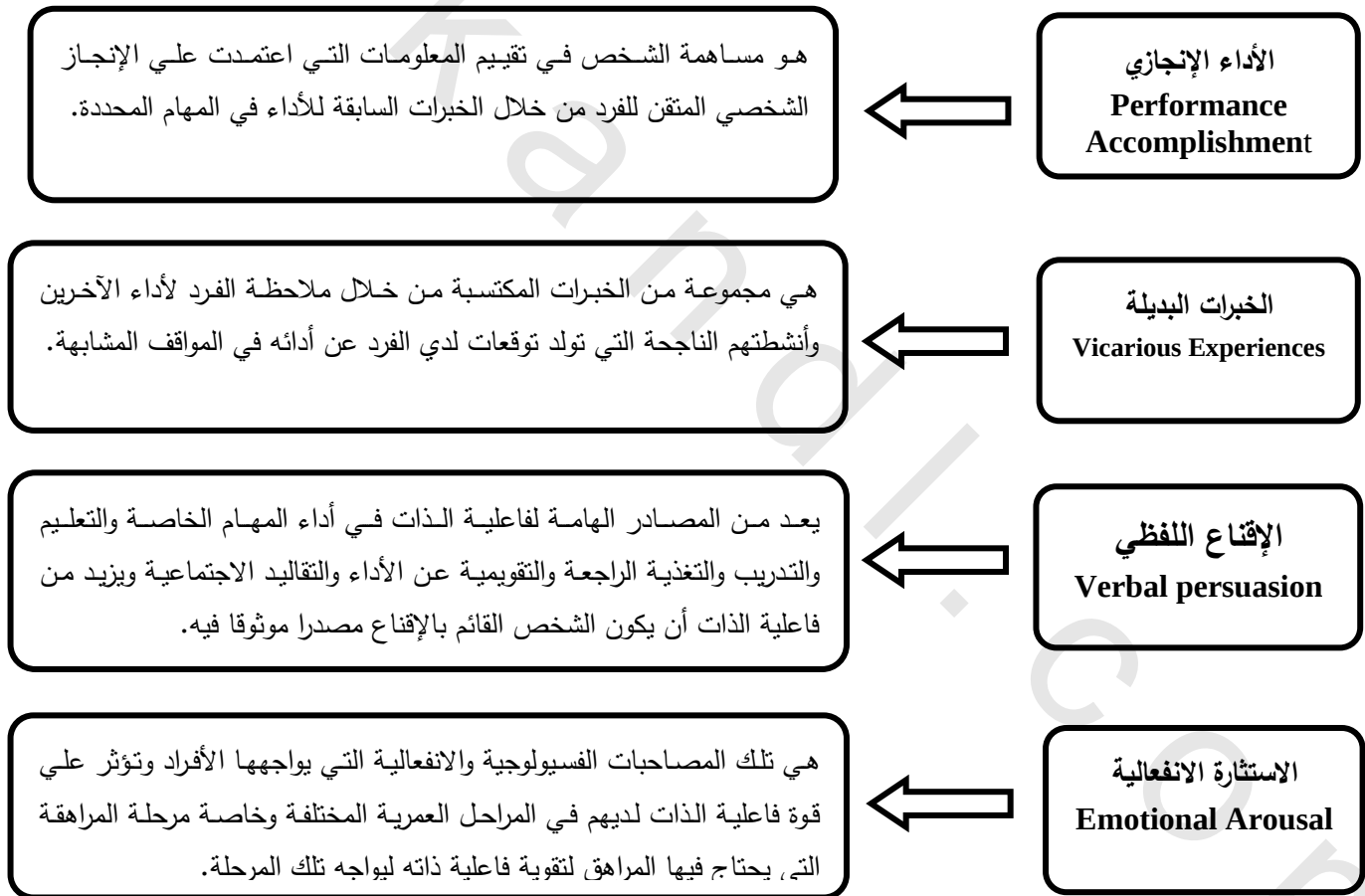
وذلك تكون فاعلية الذات لديه منخفضة. وتتحدد قوة فاعلية الذات لدى الفرد في ضوء خبراته السابقة ومدى ملائمتها للموقف.

(Bandura, 1977 : 84 – 85)

### مصادر توقعات فاعلية الذات: Self-Efficacy Expectations Sources

وضع "باندورا" Bandura (١٩٨٩) أربعة مصادر تشتق منها توقعات فاعلية الذات، كما يمكن أن تكتسب أو تنمي أو تضعف من خلالها ، ولقد استعانت الباحثة بهذه المصادر في تصميم أداة لقياس فاعلية الذات ، كما صاغت الباحثة مفهوماً لكل مصدر من هذه المصادر الأربعة حتى تتمكن من تطبيق هذه الأداة على عينة الدراسة الحالية ، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

#### شكل رقم (٣) يوضح مصادر توقعات فاعلية الذات



### الأداء الإنجازي: Performance Accomplishment

إن لهذا المصدر تأثيره الخاص على الفاعلية الذاتية لأنه يعتمد على الإنجاز الشخصي المتقن للفرد ، أيضا يعد ذلك المصدر خبرة ناتجة عن أداء هادف، وهو المصدر الأكثر تأثيراً

في فاعلية الذات لدى الفرد، ومدى تأثير الأفراد بهذه الخبرة وتفسيرهم لها يساعدهم في إبداع المعتقدات عن فاعلية الذات.

وفي هذا الصدد يشير جابر عبد الحميد (١٩٩٠ : ٤٤٣ - ٤٤٤) إلى ما يلي:

- إن النجاح في الأداء يزيد من مستوى فاعلية الذات بما يتناسب مع صعوبة المهمة أو العمل .

- إن الأعمال التي يتم إنجازها بنجاح من قبل الفرد، معتمداً على نفسه تكون أكثر تأثيراً على فاعلية ذاته من تلك الأعمال التي يتلقى فيها مساعدة من الآخرين.

- إن الإخفاق المتكرر يؤدي في أغلب الأحيان إلى انخفاض الفاعلية ، وخاصة عندما يعلم الشخص أنه قد بذل أفضل ما لديه من جهد .

مما سبق يتضح أن هذا المصدر من مصادر فاعلية الذات يشير إلى أداء الفرد وخبراته السابقة المباشرة ، وأن الأداء الناجح يزيد من فاعلية الذات لدى الفرد بينما الإخفاق المتكرر مع بذل الجهد المناسب يؤدي إلى خفض درجة فاعلية الذات .

وفي دراسة "جولي" وآخرون Julie & et.al (٢٠٠٠ : ٦٢٥ - ٦٣٣) لبحث تأثير الخبرة المباشرة على فاعلية الذات (الأداء الإنجازي) ، وجدوا أن ممارسة النساء لتمارين الدفاع عن النفس ، أدى إلى رفع اعتقادات "فاعلية الذات للدفاع عن النفس" Defense Self-Efficacy Beliefs ، مما أدى بدوره إلى ممارسة النساء للنشاطات اليومية وهم أكثر شعوراً بالأمان وأقل خوفاً من المخاطر .

#### - الخبرات البديلة: Vicarious-Experience

ويعني ذلك المصدر (التعلم بالملاحظة) أو "التعلم بالنموذج وملاحظة الآخرين" ، فمن خلال هذا المصدر يمكن أن تكتسب الاعتقادات في فاعلية الذات من الملاحظة أو الترجمة لسلوك الآخرين فيعكس الشخص ذلك السلوك على خبراته السابقة ويسلك بطريقة مماثلة في مواقف مشابهة ، فملاحظة الآخرين وهم ينجحون تزيد من فاعلية الذات لدى الشخص الملاحظ ، كما أنه إذا لاحظ الشخص أن الآخرين يفشلون في عمل مشابه لما يقوم به على الرغم من الجهد الكبير الذي بذلوه ، فإن حكم الشخص الملاحظ على قدراته الخاصة ومهاراته سينخفض، والتعلم بالملاحظة يوئى أفضل ثماره عندما يكون النموذج- الشخص الذي يقوم بالسلوك - مشابهاً للملاحظ في الوضع الاقتصادي والجنس ، والثقافة ، والحالة الاجتماعية.

(Brown, Bettine Lankard, 1992: 2)

وبالإضافة إلى ما يمثله النموذج من أهمية لحياة الملاحظ ، فإنه يساعد في غرس اعتقادات ذاتية تحسن من سير ووجهة حياة هذا الملاحظ ، كما أن المقارنات الاجتماعية التي يجريها الفرد بين نفسه والآخرين تمثل جزءاً هاماً من هذا المصدر - التعلم بالنموذج - فهذه

المقارنات يمكن أن تؤثر بقوة في تطوير اعتقادات الفرد حول قدراته ، ومن الضروري في هذا المجال أن نلاحظ أن الفشل الذي يواجهه النموذج يؤثر تأثيراً سلبياً في فاعلية ذات الملاحظ إذا كان هذا الملاحظ يرى أن لديه نفس قدرات النموذج الذي يلاحظه ، أما إذا كان الملاحظ يرى أن لديه قدرات تفوق قدرات النموذج ، فإن فشل هذا الأخير لا يكون له تأثيره السلبي في هذه الحالة . (Frank Pajares, 1999:3 – 4)

ومع أن الخبرات من خلال الآخرين أضعف من الخبرات المباشرة ، إلا أن الخبرة من خلال الآخرين يمكن أن تنتج تغيرات دائمة ذات دلالة من خلال تأثيرها على الأداء ، فالناس الذين يقتنعون من خلال الآخرين بأنهم غير فعالين ، يميلون إلى السلوك بطرق غير مؤثرة ، وبذلك يتولد في الواقع دليل عدم فاعلية مؤكد ، بالمقابل فإن تأثيرات النموذج التي تحسن فاعلية الذات يمكن أن تقلل من تأثير الخبرة المباشرة للفشل وذلك من خلال التحمل للفشل المتكرر . (Bandura, A., 1986: 400)

وفي دراسة لمعرفة أثر التعلم بالملاحظة على فاعلية الذات ، قام الباحثون بعرض شريط فيديو يصور بوضوح كيفية التعامل مع الأطفال الذين لديهم صعوبات تعلم ، وذلك على عينة من طلبة التربية ، كما تم عرض شريط آخر غير واضح على عينة ضابطة ، وقد أشارت النتائج إلى أن فاعلية الذات لدى العينة التجريبية قد زادت بصورة دالة ، بينما لم يكن هناك تغير دال لدى العينة الضابطة ، مما يؤكد أهمية التعلم بالملاحظة كمصدر من مصادر فاعلية الذات .

(Hagen, Kenneth. et. al., 1998: 169 – 178)

ويرى باندورا Bandura (١٩٧٧) أن الأشخاص لا يثقون في نموذج الخبرة كمصدر أساسي لمعلومات مستوى فاعلية الذات ، ورغم ذلك فكثير من التوقعات تشتق من الخبرات البديلة Vicarious Experiences، ورؤية أداء الآخرين للأنشطة الصعبة يمكن أن تنتج توقعات مرتفعة مع الملاحظة والرغبة في التحسن والمثابرة مع الجهود ودراسة أنفسهم بالنسبة لاستطاعة الآخرين والقدرة على إنجاز مقدار قليل والتحسين في الأداء ، والخبرات البديلة ، والثقة عملية استدلالية تفيد في رفع مستوى فاعلية الذات ، والافتناع بتوقعات الفاعلية بواسطة النمذجة فقط احتمال ضعيف وأكثر عرضة للتغير .

ويضيف باندورا Bandura (١٩٨٢ : ١٢٧-١٢٨) أن تقدير فاعلية الذات يتأثر جزئياً بالخبرات البديلة أو رؤية الآخرين المشابهين وهم يؤدون بنجاح خاصة الذين يحكمون على أنفسهم بأنهم قادرون على إنجاز الأنشطة ، وبالرغم من ضعف المكونات المتشابهة

المدركة في ملاحظة الآخرين ، فإن عرض النماذج المشابهة يمكنها أن تنقل معلومات حول فاعلية الذات والتنبؤ بالأحداث البيئية .

أي أن ملاحظة الآخرين وهم ينجحون ترفع من مستوى فاعلية الذات لدى الفرد ، وملاحظة شخص آخر وبنفس الكفاءة وهو يفشل في أداء عمل ما ، تؤدي إلى خفض مستوى الفاعلية. وعندما يكون النموذج مختلفاً عن الملاحظ تؤثر المثيرات البديلة أدنى تأثير على الفاعلية ، وتكون الخبرات البديلة أكبر تأثيراً عندما تكون الخبرة السابقة للأفراد عن النشاط المطلوب قليلة ، وأثار النمذجة بصفة عامة ليست في قوة الأداء الشخصي من حيث تأثيرها في زيادة مستوى فاعلية الذات لدى الفرد ، بينما يكون لها آثار قوية في خفض الفاعلية . ( جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ : ٤٤٤ )

#### - الإقناع اللفظي Verbal Persuasion :

إن الاعتقادات حول الذات تتأثر بالرسائل التي يحصل عليها الفرد من الآخرين ، ويطلق بايارس Pajares (١٩٩٦) على هذا المصدر الإقناع الاجتماعي Social Persuasion ، ويشير هذا المصدر إلى عمليات التشجيع والتدعيم من الآخرين ، فالآخرون في بيئة التعلم الاجتماعية (المعلمون ، الآباء ، الأقران) يمكنهم إقناع المتعلم لفظياً بقدرته على النجاح في مهام خاصة . ويمكن أن يكون الإقناع اللفظي داخلياً ، ويأخذ شكل ما يطلق عليه "الحديث الإيجابي مع الذات" .

(Mccown, Driscoll & Roop, 1996 : 269)

وبالرغم من أن هذا المصدر ضعيف المعلومات عن معتقدات الفرد عن فاعلية ذاته، إلا أنه يمكن أن يلعب دوراً هاماً في تنمية معتقدات فاعلية الذات لدى الفرد ، ويمكن أن يؤثر هذا المصدر بصورة غير مباشرة من خلال تأثيره في فاعلية التغذية الراجعة.

(Bruning, Schraw & Raning, 1995 : 132)

ويذكر باندورا Bandura (١٩٨٢ : ١٢٢) أن الإقناع اللفظي يعني "الحديث الذي يتعلق بخبرات معينة للآخرين ، والافتناع بها من قبل الفرد أو معلومات تأتي للفرد لفظياً عن طريق الآخرين فيما قد يكسبه نوعاً من الترغيب في الأداء أو الفعل ويؤثر على سلوك الشخص أثناء محاولاته لأداء المهمة ، وأن الافتناع الاجتماعي له دور هام في تقدم الإحساس بالفاعلية الشخصية ويستطيع الفرد أن ينجح بنجاح وأن الأفراد الذين لديهم قدرة على الافتناع الاجتماعي يملكون قدرة خاصة في المواقف الصعبة ، وأن الإقناع اللفظي يستخدمه الأشخاص على نحو واسع جداً مع الثقة في ما يملكونه من قدرات وما يستطيعون إنجازه ، وأن الافتناع الاجتماعي يمكن أن يحدث زيادة في مستوى فاعلية الذات ، وأنه توجد

علاقة تبادلية بين الأداء الناجح والإقناع اللفظي في رفع مستوى الفاعلية - الشخصية والمهارات التي يمتلكها الفرد .

ويرى أنور فتحي (٢٠٠٣ : ١٠١) أن الحديث المتعلق بخبرات معينة للآخرين والإقناع من قبل الفرد أو معلومات تأتي للفرد لفظياً عن طريق الآخرين فيما قد يكسبه نوعاً من الترغيب في الأداء والفعل، ويؤثر على سلوك الشخص أثناء محاولاته لأداء المهمة، وأن الإقناع الاجتماعي له دور في تقدم الإحساس بالفاعلية الشخصية ويستطيع الفرد أن ينجح، وأن الأفراد والذين لديهم قدرة على الإقناع الاجتماعي يملكون قدرة خاصة في المواقف الصعبة.

#### - الاستثارة الانفعالية Emotional Arousal :

يذكر باندورا Bandura (١٩٨٧ : ٨٣) أن هذا المصدر يعتمد على حالة الدافعية المتوفرة في الموقف بالإضافة إلى حالة الفرد الانفعالية ، وأن الاستثارة الانفعالية تظهر في المواقف الصعبة بصفة عامة والتي تتطلب مجهوداً كبيراً وتعتمد على الموقف وتقييم معلومات القدرة فيما يتعلق بالكفاءة الشخصية ، والاستثارة الانفعالية المرتفعة عادة ما تضعف الأداء ، وأنه يمكن خفض مقدار الاستثارة الانفعالية بواسطة النمذجة ، وبالإضافة إلى ذلك هناك متغير هام يعتبر أكثر تأثيراً في رفع مستوى فاعلية الذات وهو "ظروف الموقف نفسه".

(Bandura, 1987: 83)

ويشير جابر عبد الحميد (١٩٩٠ : ٤٤٥-٤٤٦) إلى أن معظم الناس تعلموا الحكم على قدراتهم في تنفيذ عمل معين في ضوء الاستثارة الانفعالية، فالذين يخبرون خوفاً شديداً أو قلقاً حاداً يغلب أن تكون فاعليتهم منخفضة ، وترتبط الاستثارة بعدة متغيرات هي:

أ- مستوى الاستثارة: وفي هذا ترتبط الاستثارة في بعض المواقف بتزايد الأداء.

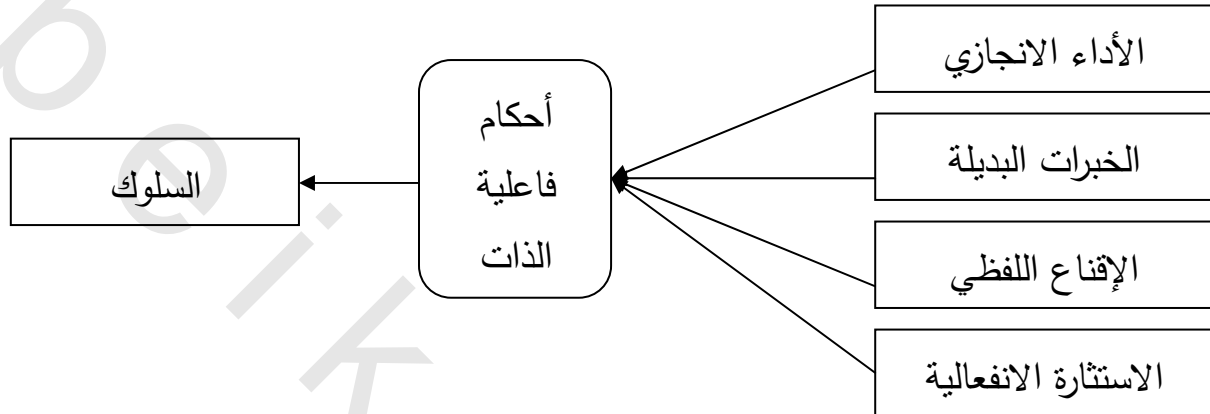
ب- الدافعية المدركة للاستثارة الانفعالية: فإذا أدرك الفرد أن الخوف أمر واقعي فإن هذا الخوف قد يرفع فاعلية الشخص ولكن عندما يكون خوفاً مرضياً فإن الاستثارة الانفعالية عندئذ تميل إلى إنقاص الفاعلية .

ج- طبيعة العمل : إن الاستثارة الانفعالية قد تيسر الإتمام الناجح للأعمال البسيطة ويغلب أن تعطل الأنشطة المعقدة .

ويذكر باندورا Bandura (١٩٧٧ : ٢٠٠) أن مصادر فاعلية الذات ( الأداء الانجازي ، الخبرات البديلة، الإقناع اللفظي، الاستثارة الانفعالية) يستخدمها الأفراد في الحكم على مستويات الذات، وتوضيح الاختلافات بين محتوى المعلومات في الأحداث البيئية

والمعلومات التي يستخدمها الأفراد وتؤثر المعلومات علي توقعات الفاعلية وهي تعتمد على كم التقدير المعرفي وعدد العوامل المحيطة التي يشملها المجتمع، الموقف، الخبرات الناجحة. وتعقب الباحثة علي مصادر توقعات فاعلية الذات من خلال الشكل التالي:

**شكل (٤) المصادر التي تسهم في تشكيل توقعات فاعلية الذات.**



وتري الباحثة أن مصادر توقعات فاعلية الذات لا غنى عنها في تشكيل فاعلية الذات لدى الأفراد؛ فقد تأكد باندورا Banadura (١٩٩٧) من طبيعة بنية مصادر فاعلية الذات والعمليات الوسيطة وأكد أن مجالات دراسة فاعلية الذات التي اعتمدت علي نتاج أعمال "باندورا" الأصلية تشعبت لتشمل مجالات الوظائف المعرفية، والأعمال الصحية، والعيادية، والبدنية، والمهنية، والأكاديمية، وفاعلية الذات العامة .

كما ترى الباحثة أن هذه المصادر ليست ثابتة دائماً ولكنها عبارة عن معلومات يستخدمها الأفراد في الحكم علي قدراتهم، وكلما كانت مصادر توقعات فاعلية الذات موثوقاً بها؛ كلما أمكن إخراج نتائج جيدة لصالح الأفراد وفاعلية ذات مرتفعة، كما أنه لا غنى عن ترابط هذه المصادر معاً لبناء فاعلية ذات قوية فهذه المصادر تتكامل معاً في موقف واحد أحياناً ، وإذا تناولنا كل مصدر علي حدة سنجد أن:

الأداء الإنجازي "Performance Accomplishment" يسهم في تقييم الشخص لمعلوماته المؤسسة علي انجازه الشخصي المتقن، مثل: (الخبرات السابقة للأداء علي مهام محددة) فالنجاح السابق للفرد يزيد من كفاءته ومن مدي قوة توقعاته لفاعلية الذات، ومن هنا يتضح أن هذا المصدر من مصادر فاعلية الذات يشير إلي الخبرات السابقة المباشرة للفرد، ونجاح الفرد يزيد من فاعلية الذات لديه وأن الإخفاق أو الفشل المتكرر مع بذل الجهد المناسب يؤدي إلي خفض فاعلية الذات.

الخبرات البديلة "Vicarious Experience" نجد إن هذا المصدر من المصادر الهامة تطبيقياً بالنسبة للطالب داخل الفصل لأن الخبرات البديلة تكتسب من خلال ملاحظة الفرد لأداء الآخرين وأنشطتهم الناجحة والتي ترجع إلي النماذج المختلفة وتولد توقعات للملاحظ عن أدائه ، فإن الطلاب الذين يلاحظونه نماذج ناجحة يمكنهم استخدام هذه الملاحظات لتقدير فاعلية ذاتهم الخاصة. وتظهر أهمية ذلك المصدر عندما يكون الفرد غير واثق من قدراته أو أن خبراته السابقة غير محدودة وعلي العكس من نجاح الطالب الذي يلاحظ نموذجاً ناجحاً تنخفض فاعلية ذات طالب آخر بملاحظته لفرد آخر بنفس الكفاءة وهو يخفق في أداء المهام الموكلة إليه.

أما الإقناع اللفظي "Verbal Persuasion" فتعود مرجعيته إلى الأنشطة المختلفة التي يمارسها الأفراد، كما يمكن أن يسهم ذلك المصدر في إقناع الأفراد بشكل لفظي، وبالرغم من أن تأثير الإقناع اللفظي محدود إلا أنه يرفع من فاعلية الذات ولكن في ظروف معينة مثل: أن يكون الشخص القائم بالإقناع مصدراً موثقاً به ومن هنا تظهر أهمية ذلك المصدر التطبيقية حيث أنه يتم داخل الفصل المدرسي مثل: أن يقدم المعلم إلى الطلاب مجموعة من الاقتراحات والنصائح وينتج عن ذلك أيضاً تفاعل بين الطلاب ومعلميهم وبين بعضهم البعض وهنا ترتفع درجة الفاعلية الذاتية من خلال الإقناع اللفظي.

وفي الاستثارة الانفعالية "Emotional Arousal" نجد أن لهذا المصدر الفضل الأكبر في تشكيل سلوك المراهق داخل الفصل وخارجه فهو من العوامل الداخلية التي تحدد للفرد ما إذا كان يستطيع تحقيق أهدافه أم لا بالإضافة إلي ما يحتاجه الفرد من مجهود، ومساعدات، وقدرة مدركة للنموذج، وذلك لكي ينجح في أداء مهمته وبالرغم من أن قوة إنفعال المراهق تكون مرتفعة عادة إلا أنها أحياناً تنخفض من درجة فاعلية الذات لدي المراهق الطالب، كما أن الضغوط والتعب يؤثران أيضاً علي فاعلية الذات لديه فالأفراد الذين يعانون من الإرهاق الجسمي غالباً ما تكون فاعليتهم الذاتية ضعيفة، ولهذا فالاستثارة الانفعالية تمثل مصدراً هاماً من مصادر فاعلية الذات وذلك من خلال إدراك المناخ الأسري ومدى تفهمه لمشكلات المراهق في هذه السن، ومدى الجهد المبذول داخل المدرسة وتفاعل كل من الأسرة، والمدرسة في رفع كفاءة فاعلية ذات المراهق والمحافظة على مستوى التوافق الشخصي والاجتماعي له، ولا بد من اتزان المناخ الأسري لكي يتحقق التوازن النفسي المطلوب لبناء شخصية ذلك المراهق. حيث إنه لابد من الحفاظ على مستوى متوازن من التغذية الراجعة السليمة ومساعدته على الاسترخاء لكي يبذل الجهد المناسب للرفع من كفاءة فاعليته الذاتية لكي يكون قوياً بما يكفي لمواجهة هذه المرحلة بشكل متوازن.

## • فاعلية الذات وبعض المفاهيم الأخرى المرتبطة بها:

### فاعلية الذات والذات: Self – Efficacy & Self

#### الذات: Self

هي الشعور والوعي بكينونة الفرد، وتنمو الذات وتنفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي وتتكون بنية الذات كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين وتسعى إلى التوافق والثبات، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم. (حامد زهران، ٢٠٠١: ٢٩١)

ويقول كارل روجرز Rogers (١٩٥١) صاحب نظرية الذات Self Theory أنه على الرغم من أن مفهوم الذات ثابت إلى حد كبير، إلا أنه يمكن تعديله وتغييره تحت ظروف العلاج النفسي الممركز حول العميل Client – Centered therapy الذي يؤمن بأن أحسن طريقة لإحداث التغيير تكون بأن يحدث التغيير في مفهوم الذات.

(حامد زهران، ٢٠٠١: ٢٩١)

كما يشير "باندورا" إلي أن نظرية التعلم الاجتماعي ترفض تقسيم الذات إلى قسمين "الذات كعملية، والذات كموضوع" فمصطلح فاعلية الذات يمثل مجموعة من العوامل الشخصية التي تتوسط التفاعل بين (السلوك، والبيئة)، أما مصطلح الذات فيعد انعكاساً لتقييم الآخرين وهو مزيج من الخبرات المباشرة وغير المباشرة. (Bandura, 1989:1181)

#### فاعلية الذات ومفهوم الذات: Self – Efficacy and self – concept

دلت الكتابات والدراسات التي دارت حول موضوع مفهوم الذات على أنه يعتبر حجر الزاوية في الشخصية، وأصبح مفهوم الذات الآن ذا أهمية بالغة ويحتل في هذه الأيام مكان القلب في التوجيه والإرشاد النفسي وفي العلاج الممركز حول العميل (أي الممركز حول الذات). (حامد زهران، ٢٠٠١: ٢٩١)

وعرفه كولمان (١٩٧١) علي أنه صورة الفرد عن ذاته - نظريته لنفسه كما تتمايز عن الأشخاص الآخرين وعن الأشياء الأخرى وتعمل صورة الذات هذه علي دمج إدراكه لما هو عليه في الواقع (الهوية الذاتية Self-Identity) وإدراكه لجدارته كشخص (التقييم الذاتي Self – Evaluation)، وكذلك إدراكه لمطامحه من أجل النمو والانجاز (المثالية الذاتية Self – Ideal).

ويعرف سيد غنيم (١٩٨٧) مفهوم الذات علي أنه "الفكرة التي يكونها الفرد عن نفسه بما تتضمن من جوانب جسمية واجتماعية وأخلاقية وانفعالية يكونها الفرد عن نفسه من خلال علاقته بالآخرين وتفاعله معهم".

(سيد غنيم، ١٩٨٧: ٦٢)

ويقول حامد زهران ( ٢٠٠١ : ٢٩١ ) أنه يمكن تعريف مفهوم الذات "بأنه تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته ، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية الخارجية، وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تظهر إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو "الذات المدركة" Perceived Self والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي تعتقد أن الآخرين يتصورونها والتي يمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين "الذات الاجتماعية" Social Self والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون "الذات المثالية" Ideal self ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه؛ ولذا فإنه ينظم ويحدد السلوك. ويذكر عادل الأشول (١٩٩٩ : ٣٠٩) أن مفهوم الذات لدى الفرد له ثلاثة محتويات: "المحتوي المعرفي" وهو محتوى الذات ومضمونها، والتي توضح ثمة أفكار مثل: أنا ذكي، مخلص، طموح، طويل....الخ، و "المحتوي العاطفي" يقدم أحاسيس الفرد ومشاعره نحو ذاته، ويكون عادة من الصعب توضيحها لأن أحاسيس الفرد نحو ذاته عادة لا يعبر عنها بكلمات، حيث تتضمن أحاسيس ومشاعر عامة عن قيمة الذات بالإضافة إلى تقييمه لجوانب معرفية محددة أو مظاهر أخرى عن الذات، أما "المحتوى السلوكي" فيتمثل في ميل الفرد لكي يسلك نحو ذاته بطرق متعددة، فالشخص قد يسلك بطريقة فيها تقليل لذاته، أو تساهل، أو تسامح لذاته، أو حساسية زائدة لبعض من سماته،..... وهكذا.

وقد ميز باجرز وميلر Pagares & Miller (١٩٩٤) بين "فاعلية الذات ومفهوم الذات" بأن فاعلية الذات عبارة عن "تقييم محدد السياق للكفاءة في أداء مهمة محددة والحكم علي مقدرة الفرد علي أداء سلوكيات محددة في مواقف معينة، أما مفهوم الذات فيشتمل علي معتقدات القيمة الذاتية المرتبطة بالكفاءة المدركة لدي الفرد".

ويذكر "كيرتش" Kirsh (١٩٨٥ : ١٩٣) أن فاعلية الذات تعني "ثقة الشخص في قدراته علي إنجاز السلوك بعيدا عن شروط التعزيز، وهو مفهوم يختلف عن توقع الاستجابة التي ترجع أحيانا إلي حدوث الاستجابات غير الإرادية".

وتري عواطف حسين (١٩٩٤ : ٨٥) أن فاعلية الذات ترتبط بمفهوم الذات نظراً؛ لأن الذات هي مركز الشخصية الذي تتجمع حوله كل النظم الأخرى، فالذات المبدعة هي القدرة علي تحقيق الذات من خلال فاعلية الذات المدركة لدي الفرد.

ويري فرانك بيجرز Frank, Pagares (١٩٩٨) أن هناك الكثير من الخلط بين "مفهوم الذات" ومصطلح "فاعلية الذات" فهناك الكثير من الباحثين من يستعملون المصطلحين كمترادفين، وآخرون يصفون "مفهوم الذات" علي أنه شكل معمم لفاعلية الذات ويختلف المفهومان في الآتي:

- فاعلية الذات تهتم بالاعتقادات في القابلية الشخصية، فهي أحكام الفرد علي قدرته علي أداء المهام المعطاة أما "مفهوم الذات" فهو يحتوي علي هذه الأحكام وأيضا علي المشاعر حول ما تستحقه الذات من تقدير فيما يتعلق بهذا الأداء.

- إذا كان "مفهوم الذات" يهتم بتقييم ما تستحقه الذات من تقدير، فإنه يعتمد في ذلك علي كيفية تقييم الثقافة السائدة في المجتمع للخصائص التي يمتلكها الفرد وحكمها علي مدي ملاءمة سلوك هذا الفرد للقواعد السلوكية المسموح بها، أما أحكام فاعلية الذات فهي ترتبط بأحكام الفرد علي قدراته الشخصية.

- ليست هناك علاقة ثابتة بين اعتقادات الفرد حول ما يستطيع أو ما لا يستطيع أدائه، وبين احترامه أو عدم احترامه لنفسه، فمثلاً: قد يعتقد فرد أنه يملك فاعلية ذات رياضيات قليلة جداً، ورغم ذلك لا يشعره هذا بعدم الاحترام لذاته، وقد يعود ذلك إلي أنه لا يعتبر التفوق في هذا المجال شيئاً هاماً بالنسبة له، وعلي ذلك ففي مثل هذه الحالة لا يكون لدي الفرد "مفهوم ذات" وإنما يكون لديه "فاعلية ذات".

- طريقة قياس "فاعلية الذات" تختلف عن طريقة قياس "مفهوم الذات" فالمفردة المثالية لقياس "فاعلية الذات" قد تكون "ما مدي ثقتك في نجاحك في الرياضيات"، أما المفردة المثالية لقياس "مفهوم الذات" فقد تكون الرياضيات تجعلني أشعر بعدم الكفاءة".

- أحكام "فاعلية الذات" ترتبط بمهام محددة داخل ميدان محدد، كما أن لديها حساسية عالية للتأثر بالاختلافات القليلة حتى داخل المهمة الواحدة، فمثلاً "فاعلية ذات قيادة السيارة" تختلف من القيادة داخل المدينة إلي القيادة علي الطريق السريع، أما أحكام "مفهوم الذات" فهي أكثر عمومية حيث ترتبط بميدان محدد وليس بمهمة محددة كما أن هذه الأحكام أقل حساسية للتأثر بالاختلافات.

- "مفهوم ذات الفرد" يتكون من خلال مدي نجاح هذا الفرد في تحقيق مطالبه، فإذا كانت هذه المطالب قليلة فإن تحقيق الفرد للقليل من النجاح يؤدي إلي شعوره بمستوى عال من مفهوم الذات، وبالمقابل قد يعاني الفرد من مفهوم ذات ضعيف لأنه يضع لنفسه متطلبات عالية يصعب عليه تحقيقها، ومن هنا يتضح أن "مفهوم الذات" العالي لا يؤدي بالضرورة إلي التنبؤ الجيد بنوعية الإنجاز في المهام المعطاة ولكن "فاعلية الذات" العالية يكون لديها احتمال أكبر أن تؤدي إلي هذا التنبؤ. (محمد توفيق، ٢٠٠٢: ٣٥-٣٦)

### فاعلية الذات وتقدير الذات: Self Efficacy & Self – esteem

يعرف روزنبرج Rosenberg (١٩٧٨) تقدير الذات على أنه "اتجاهات الفرد الشاملة سالبة كانت أو موجبة نحو نفسه" ، وهذا يعني أن تقدير الذات المرتفع معناه أن الفرد يعتبر نفسه ذات قيمة وأهمية ، بينما تقدير الذات المنخفض يعني عدم رضا الفرد عن نفسه أو رفضه لذاته. (محمود فتحي عكاشة ، ١٩٩٠ : ٢٢٥ )

كما يعرف عبد الرحيم بخيت (١٩٨٥ : ٢٢٥) تقدير الذات على أنه " مجموعة من الاتجاهات والمعتقدات التي يستدعيها الفرد عندما يواجه العالم المحيط به، فهو حكم الشخص تجاه نفسه، وقد يكون هذا الحكم بالموافقة أو الرفض".

### فاعلية الذات وتحقيق الذات: Self Efficacy & self – actualisation

يعرف كمال دسوقي (١٩٩٠ : ٣٢) تحقيق الذات على أنه "عملية تنمية استطاعات ومواهب الفرد، وتفهم وتقبل ذاته".

وترى فاطمة العمري (١٩٩٣ : ٧٢) أن تحقيق الذات "عملية نشطة تسعى بالفرد ليكون ويصبح موجهاً من داخله، ومتكاملاً على مستويات التفكير والشعور والاستجابة الجسدية".

وفي ذلك يذكر علاء الشعراوي (٢٠٠٠ : ٢٩٦) أن تحقيق الذات حاجة تدفع الفرد إلى توظيف إمكانياته، وترجمتها إلى حقيقة واقعة ويرتبط بذلك التحصيل، والإنجاز، والتعبير عن الذات ولذلك فإن تحقيق الفرد لذاته يشعره بالأمن والفاعلية وأن عجز الفرد عن تحقيق ذاته باستخدام قدراته، وإمكانياته يشعره بالنقص والدونية، وخيبة الأمل، مما يعرضه للقلق، والتشاؤم.

ويشير سكارزر Schwarzer (١٩٩٩ : ١) إلى أن "فاعلية الذات تمثل عنصراً كبيراً في العمليات الدافعية، وأن مستوى فاعلية الذات يمكن أن يحسن أو يعوق دافعية الفرد للتعلم الذاتي، فالأفراد مع ارتفاع معتقداتهم عن الفاعلية يختارون المهام الأكثر تحدياً، ويبدلون جهداً كبيراً في أعمالهم، ويقاومون الفشل ويضعون لأنفسهم أهدافاً للتحدي ويلتزمون بها".

### المرادف اللغوي لمفهوم فاعلية الذات: Self efficacy

بداية تود الباحثة أن تشير إلى أنها تتفق مع ما توصل إليه كل من "عمر الفاروق صديق" (١٩٨٦ : ٢٠) و "حمدي علي الفرماوي" (١٩٩٠ : ٣٧٢) و "السيد محمد أبو هاشم" (١٩٩٤ : ٤٤) و "سامي محمد زيدان" (٢٠٠٠ : ١٣) و "صابر سفينة عبد القادر" (٢٠٠٣ : ٢٤) إلى أن Efficacy تعني الفاعلية.

ويذكر "حمدي الفرماوي" (١٩٩٠: ٣٧٢) أنه يوجد لفظ Efficacy ، ولفظ Efficiency في قواميس اللغة بمعاني مترادفة وهي الفاعلية والكفاية، وتفضل الباحثة استخدام كلمة فاعلية (efficacy)، كما يذكر "سامي زيدان" (٢٠٠٠: ١٣) أنه بالرجوع إلى قواميس اللغة لتحديد الترجمة الصحيحة لمصطلح Efficacy وجد أنه يرد عند كل من "إلياس وإدوارد إلياس"، ١٩٨٣: ٧، ٣٨ "حسن سعيد الكرامي"، ١٩٨٧: ١٧، ٣٧٨، "منير البعلبكي" (١٩٩٣: ٤٤، ٣٠٤) بمعنى فاعلية، في حين ورد مصطلح Efficiency بمعنى الكفاية. ودير بالذكر أن قواميس علم النفس قد تناولت مصطلح Efficacy بمعنى الفاعلية، ومصطلح Efficiency بمعنى الكفاية.

(حامد زهران، ١٩٧٢: ١٦، ١٦٧، كمال الدسوقي، ١٩٩٠: ٣٧، ٤٥٢)  
ويعرف "سذرلاند" Sutherland (١٩٩٠) في معجم ماكميلان لعلم النفس فاعلية الذات على أنها معتقدات الفرد حول قدرته على التأقلم في المواقف المختلفة ومن ثم فإن الدراسة الحالية تنظر لمصطلح Efficacy على أنه فاعلية ويكون مصطلح Self-Efficacy المرادف له باللغة العربية "فاعلية - الذات" ولهذا تتناول الباحثة فيما يلي التعريفات المتعددة لمفهوم فاعلية الذات "Self-Efficacy".

#### مفهوم فاعلية الذات: Self- Efficacy

ذكر "باندورا" Bandura (١٩٧٧) أن فاعلية الذات هي: الحكم على قدرة إنجاز نموذج سلوكي محدد" وقد طور "باندورا" Banadura (١٩٩٧) هذا التعريف باقتراحه مفهوم "معتقدات فاعلية الذات" Self- Efficacy Beliefs " والتي تعبر عن ما يعتقد الفرد عن قدراته وإمكاناته وتظهر في جهده ومثابرته على أداء المهام.

(Staples. et. al., 1999)

كما يتحدد مفهوم "فاعلية الذات" في ضوء مجالات خاصة، فقد عرفه نيكول وآندرو Nicole & Andrew (١٩٩٧) بأنه: "اعتقاد الفرد بأنه يتمكن من التقدم نحو تحقيق الأهداف" أما في سياق التحصيل الدراسي فتعرفه منى حسن (٢٠٠١) بأنه " قوة اعتقاد الطالب في القيام بالمهام والأنشطة الأكاديمية بنجاح مع الرغبة في بدء السلوك والسعي المستمر لتحقيق النجاح التحصيلي المرغوب فيه والمثابرة في مواجهة المواقف الدراسية الصعبة".

ويعرف علاء محمود الشعراوي، (٢٠٠٠) مفهوم فاعلية الذات على أنه "مجموعة الأحكام الصادرة عن الفرد، والتي تعبر عن معتقداته حول قدراته علي القيام بسلوكيات معينة، ومرونته في هذا التعامل مع المواقف الصعبة والمعقدة، وتحدي الصعاب، ومدى مثابرته للإنجاز، ويتضمن هذا المفهوم الأبعاد التالية التي أظهرها التحليل العاملي: الثقة بالنفس،

والمقدرة على التحكم في ضغوط الحياة، وتجنب المواقف التقليدية، والصمود أمام خبرات الفشل، والمثابرة للإنجاز.

وتعرف عواطف حسين (١٩٩٤) فاعلية الذات على أنها " الإدراك الذاتي لقدرة الفرد على أداء السلوك الذي يحقق نتائج مرغوبة في أي موقف معين وتوقعاته عن كيفية الأداء الحسن، وكمية الجهد والنشاط والمثابرة المطلوبة عند تعامله مع المواقف والتنبؤ بمدى النجاح في تحقيق ذلك السلوك.

ويرى بيتشوف Bishof (١٩٧٤) أن "فاعلية الذات" ترتبط بدرجة كبيرة بمفهوم الفرد عن ذاته نظراً لأن الذات هي مركز الشخصية التي تتجمع حولها كل النظم الأخرى، وهي أسلوب الفرد في الحياة مما يحدد له شخصيته، ويفسر له الخبرات التي يمر بها قبل الاستعانة بها في المواقف الحاضرة والمستقبلية، فالذات المبدعة هي القدرة على تحقيق الذات من خلال فاعلية الذات المدركة لدى الفرد. ويتصف مفهوم فاعلية الذات Self – Efficacy كما يشير "باندورا" Bandura (١٩٨٢) بأنه ذو طبيعة تأثيرية وقادر على تفسير السلوك الضروري لفهم تعامل الأفراد مع بيئاتهم وهو لب بناء العلاقة بين المعرفة والسلوك.

كما يشير باندورا Bandura (١٩٨٧) إلى أن فاعلية الذات تساعد على المثابرة في أداء العمل حتى يتحقق النجاح بينما يؤدي عدم الفاعلية إلى عدم المثابرة ، وأضاف باندورا Bandura أن مفهوم فاعلية الذات ذو طبيعة تنبؤية انتقائية فمن المفترض أن الفاعلية تؤثر في اختيار السلوك الفعال والمجهود المبذول والاستمرار في مواجهة العقبات وأداء العمل.

كذلك يرى باندورا Bandura (١٩٧٧) أن من بين المتغيرات المعرفية التي تحدث قبل القيام بالسلوك ما يسمى بالتوقعات أو الأحكام" سواء كانت هذه التوقعات أو الأحكام خاصة بإجراء السلوك أو الناتج النهائي له وأطلق على هذه التوقعات مصطلح "فاعلية الذات" ويعني أحكام الفرد على توقعاته عن أدائه للسلوك في مواقف تتسم بالغموض وتنعكس هذه التوقعات على اختيار الأنشطة المتضمنة في الأداء والمجهود المبذول ومواجهة المصاعب وإنجاز السلوك.

(Bandura, 1977: 191 – 215)

ويشير كل من بيتز وهاكت Betz & Hackett (١٩٨١) إلى أن "الأفراد الذين ترتفع لديهم توقعات فاعلية الذات ينجحون في معدل إدراكهم لوظائفهم، واختيارهم الأكاديمي، وكذلك في مثابرتهم، وفي حرية الاختيار.

ويعرف فولر وآخرون Fulle & et. Al. (١٩٨٢: ٢) فاعلية الذات على أنها توقعات الأفراد عن قيم النتائج من خلال المجهود الشخصي ، وأنها ذات تأثير هام في مجال العمل المدرسي.

كما عرف كل من "جريشام" و"إليوت" Gersham, f. & Elliott (١٩٩٨) فاعلية الذات الأكاديمية على أنها "توقع الفرد بأنه قادر على أداء مهام في عملية القسمة الحسابية. أيضاً يعرف السيد محمد أبو هاشم (١٩٩٤ : ٥٧-٥٨) فاعلية الذات على أنها توقع الفرد بقدرته على أداء مهمة محددة ، وهي بذلك تعني استبصار الفرد بإمكاناته وحسن استخدامها.

كما يذكر "سوسمان" وآخرون, Susman & et. Al. (١٩٩٢ : ١٤-١٨) أن توقعات فاعلية الذات السالبة تعني انخفاض ثقة الفرد في قدرته على أداء السلوك وأن توقعات فاعلية الذات الموجبة تعني زيادة ثقة الفرد في قدرته على أداء السلوك.

ويشير كل من "هالين" و"دنيهر" Hallian, p. & Danaher, p. (١٩٩٤ : ٧٦) إلى أن فاعلية الذات تعني "ثقة الأفراد فيما يتعلق بقدراتهم على الأداء في المجالات المتنوعة ويكون الفرد أكثر معرفة لنفسه إذا كانت لديه المقدرة على إحراز الهدف وهي تؤثر على الأهداف البعيدة والمتصلة بالقدرة على إنجاز السلوك وتعتمد إلى حد ما على قدرة الشخص ولكن ليست مرادفة لمفهوم القدرة.

ويرى حمدي الفرماوي (١٩٩٠ : ٣٧٢-٣٧٣) أن توقعات الفاعلية الذاتية للشخص يمكن أن تحدد المسار الذي يتبعه كإجراءات سلوكية إما في صورة ابتكارية أو نمطية، كذلك فإن هذا المسار يمكن أن يشير إلى مدى اقتناع الفرد بفاعليته الشخصية Personal Efficacy وثقته بإمكاناته التي يقتضيها الموقف.

ويعرف سامي زيدان (٢٠٠٠) فاعلية الذات على أنها: إدراك الفرد لقدرته على إنجاز السلوك المرغوب بإتقان ورغبته في أداء الأعمال الصعبة، وتعليم الأشياء الجديدة والتزامه بالمبادئ وحسن تعامله مع الآخرين، وحل ما يواجهه من مشكلات واعتماده على نفسه في تحقيق أهدافه بمثابرة وإصرار.

كما يعرف فاعلية الذات "جورج" إمام غازدا وآخرون (١٩٨٦ : ١٩٣) على أنها "مجموعة التوقعات التي تجعل شخصاً ما يعتقد بأن المسار الذي سيتخذه سيحظى بالنجاح". ويذكر عبد المنعم عبد الله حسيب (٢٠٠٣ : ١٣) أن مصطلح فاعلية الذات الذي اقترحه باندورا Bandura (١٩٧٧) يشير إلى إحساس الفرد بالكفاءة الذاتية والقدرة على تحقيق السلوك المرغوب والتحكم في الظروف البيئية المحيطة.

ويتصف ذوو المستوى المرتفع في فاعلية الذات بالثقة بالنفس، والمثابرة، والإصرار على بلوغ الهدف بصرف النظر عما يواجههم من عقبات ومشكلات، ويعتبر الإحساس بفاعلية الذات محدداً هاماً لنجاح الفرد أو فشله في مختلف المهام التي يضطلع بها، فإذا كانت المعرفة والمهارات ضرورية لتحقيق أعلى مستوى من الأداء، فإن ذلك لا يكفي في غياب الإحساس بالكفاءة الذاتية نظراً لما يتصف به مرتفعو الفاعلية من القدرة على الأداء الجيد تحت مختلف الظروف. (Wiggins. et .al, 1994:212)

ويضيف باندورا Bandura (١٩٨٩) أن فاعلية الذات Self Efficacy تؤثر في أنماط التفكير بحيث قد تصبح معينات ذاتية أو معوقات ذاتية وأن إدراك الأفراد لفاعلية الذات يؤثر على أنواع الخطط التي يضعونها، فالذين لديهم إحساس مرتفع بفاعلية الذات يضعون

خطأً ناجحة، والذين يحكمون على أنفسهم بعدم الفاعلية أكثر ميلاً للخطط الفاشلة والأداء الضعيف والإخفاق المتكرر، فالإحساس بالفاعلية ينشئ بناءات معرفية ذات أثر فعال في تقوية الإدراك الذاتي للفاعلية. (Bandura, 1989: 1175 – 1176)

ويفرق باندورا Bandura (١٩٩٧ : ٢٠) بين توقعات وأحكام تحدث قبل السلوك وهي توقعات فاعلية الذات Self-efficacy وتعني الاعتقاد بأن الشخص يمكن أن يؤدي بنجاح السلوك الذي هو بصدد وبين توقعات تحدث بعد بداية السلوك وتعرف بتوقعات النتائج أو توقعات الفرد عن مخرجات الاستجابة Response outcomes Expectation وتعني اعتقاد الشخص بأن سلوكيات معينة سوف تؤدي إلى نتائج معينة.

ومن هنا يمكن القول أن فاعلية الذات كما يعرفها باندورا Bandura (١٩٩٧ : ٣٦) هي "عملية استدلالية تشتق من مساهمات علاقية بين القدرة وعوامل لا تتصل بالقدرة مثل الجهد اللازم وطبيعة الموقف، وتأثيرات النجاح والفشل والإدراك الذاتي للقدرة، وتنعكس فاعلية الذات للفرد في التوقعات التي يصدرها عن كيفية أدائه للمهمة والنشاط المتضمن فيها ومدى تنبؤه بالجهد اللازم والمثابرة المطلوبة.

ويؤكد باندورا Bandura (١٩٩٧ : ٦١) على أن فاعلية الذات ليست محدداً كافياً للسلوك ولكن لابد أن يكون هناك قدر من الاستطاعة لدى الفرد سواء كانت استطاعة فسيولوجية أو عقلية ، ويضيف بأن التوقعات لها تأثير على كل من المبادأة والمثابرة في سلوك حل المشكلة ، وأن من مظاهرها أيضاً الاستبصار والثقة بالنفس ودافعية الإنجاز.

على هذا فإن مفهوم الفاعلية الذاتية الذي قدمه باندورا (١٩٩٧) Bandura في نظريته له دور فعال في الإنجاز ونجاح الأداء والمثابرة والرفع من كفاءة الذات وقدرتها على التصدي للعديد من المشكلات التي تفقد الإنسان ثقته بنفسه.

وفي ضوء ما تم استعراضه لمفهوم فاعلية الذات ترى الباحثة الحالية أن فاعلية الذات عبارة عن "مجموعة من الأحكام والتوقعات الصادرة من الأفراد عن أدائهم للسلوك في مواقف قد تبدو غامضة أو غير متوقعة تحتاج إلى قوة دفع لإنجاز هذا السلوك حيث أن هذه القوة مهمة لتفسير الدوافع الكامنة وراء أداء الأفراد في المواقف المتعددة والمجالات المختلفة".

### ثانياً: مفهوم التوافق :

ترجع الأصول الباعرة لمفهوم التوافق إلى علم الحيوان (البيولوجي) وفيه يستخدم ذلك المفهوم باسم التكيف Adaptation ولقد كان دارون (١٨٥٩) أول من تحدث عن ذلك المفهوم في نظرية عرفت باسم "التطور والنشوء" واستخدم فيها التوافق بمعنى "المواءمة" فيشير ذلك المفهوم عادة إلى أن الكائن الحي يحاول أن يوائم بين نفسه والعالم الطبيعي الذي يعيش فيه من أجل البقاء. (شاكر قنديل، ١٩٧٤ : ١٧)

ولقد استعار علم النفس المفهوم البيولوجي للمواءمة ويتم استخدامه في المجال النفسي والاجتماعي تحت مصطلح " تكيف". (مصطفى فهمي، ١٩٧٨ : ٩-١٠)

وتذكر بتول محي الدين (٢٠٠١ : ٣٤) أن دارون (١٨٥٩) يرى أن الأنواع التي تستطيع التكيف لمخاطر العالم الفيزيقي هي التي تستطيع البقاء، ولقد استعار علماء النفس مفهوم التكيف وأعادوا تسميته "بالتوافق"، ويمثل التوافق والتكيف معاً منظوراً وظيفياً لملاحظة وفهم السلوك البشري، وسلوك الحيوان، ويعني ذلك أن السلوك البشري والحيواني ينبغي أن يفهم باعتباره محاولة للتكيف للأنواع المختلفة من الحاجات الجسمية أو توافقات للمتطلبات السيكلوجية.

كما يذكر علاء الدين كفاي (١٩٩٠ : ٣٧) أن التكيف أحد المصطلحات التي يستخدمها علماء الفسيولوجي (علم وظائف الأعضاء) لتشير إلى التغيرات التي تحدث في أحد أعضاء الجسم كنتيجة لآثار معينة تعرض لها، كما يستخدمه علماء البيولوجي (علم الحياة) ليشيروا إلى التغيرات البنائية والسلوكية التي تصدر عن الكائن الحي وتجعل السلوك أكثر موائمة للبيئة التي يعيش فيها ذلك الكائن الحي.

ويشير مفهوم التوافق إلى وجود علاقة منسجمة مع البيئة تتضمن القدرة على إشباع معظم حاجات الفرد، وتلبية معظم المطالب البيولوجية، والاجتماعية، ويشمل التوافق كل التباينات والتغيرات في السلوك التي تكون ضرورية حتى يتم الإشباع في إظهار العلاقة المنسجمة مع البيئة.

(Welman, 1973: 33)

والتوافق بصفة عامة نسبي ويختلف من شخص لآخر، ولنفس الشخص من مرحلة لأخرى ومن مجتمع لآخر.

### التوافق الشخصي: Personal Adjustment

يشير "ولمان" Welman (١٩٧٣ : ٣٣) إلى أن تحقيق التوافق هو هدف كل إنسان، وهو غاية كل العاملين في حقل الصحة النفسية، حيث نجد أن مفهوم "التوافق الشخصي" Personal Adjustment يشير إلى التوازن بين الوظائف المختلفة للشخصية، مما يترتب عليه أن تقوم الأجهزة النفسية بوظائفها دون صراعات شديدة.

ويؤكد برونر (١٩٨٣) في كتابه "التوافق والنمو الشخصي - سبعة سبل" Adjustment and Personal Growth: Seven Pathways إنه يكاد أن يطابق بين التوافق والصحة النفسية، حيث يؤكد أن الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية يكون قادراً على تحقيق التوافق الشخصي، والاجتماعي والعكس صحيح، فالفرد الذي لديه اعتلال في الصحة النفسية ينعكس هذا على توافقه الاجتماعي.

ويضيف برونر (١٩٨٣) إنه ليس هناك عامل واحد مسئول عن تمتع الفرد بالصحة النفسية ولكن هناك مجموعة من العوامل التي تسهم في ذلك ومنها: "الاستبصار" حيث يكون الفرد قادراً على معرفة ما لديه من دوافع ، والعامل الثاني هو: "العادات الإيجابية" حتى يستطيع أن يغير "العادات السيئة" ويكون لديه عادات إيجابية. العامل الثالث هو: "التفكير الواضح" فيكون لدى الفرد القدرة على "التفكير الواقعي"، رابعاً: "الاتصال الفعال" حيث يكون لدى الفرد القدرة على التواصل.، خامساً: الحياة الأصلية حيث يستفيد الفرد من قدراته وإمكانياته، وسادساً: "الرؤية الأوسع" حيث يرى الفرد نفسه كجزء من الوجود الأكبر.

(علاء الدين كفاي، ١٩٩٦: ٢١-٢٤)

ويذكر حامد زهران (٢٠٠١ : ٢٧) أن التوافق الشخصي يتضمن السعادة مع النفس والرضا عن النفس، وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية الفطرية والعضوية والفسولوجية والثانوية، والمكتسبة ويعبر عن (سلم داخلي) حيث يقل الصراع الداخلي، ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة.

### **التوافق الاجتماعي: Social Adjustment**

يشير ريتشارد كينر Kinnier إلى أنه من الممكن المطابقة بين مفهومي "الصحة النفسية والتوافق الاجتماعي" حيث يرى إن الفرد الذي لديه صحة نفسية يكون بالتالي قادراً على التوافق الاجتماعي.

ويشير علاء الدين كفاي (١٩٩٧) إلى أن العمليات المتضمنة في التوافق الاجتماعي هي التي تجعل التوافق الاجتماعي هو المعبر إلى الصحة النفسية حيث إن هذه المتضمنات هي (الإشباع - الدافعية - الإحباط - الصراع - القلق - الدفاع).

وقد عرف حامد زهران (٢٠٠١) التوافق الاجتماعي بأنه "السعادة مع الآخر والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي وتقبل التغيير الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة.

ويرى عبد المنعم الحنفي (١٩٩٤) أن التوافق الاجتماعي يقصد به " العملية التي يدخل بها الفرد في علاقة متناسقة، وصحية، مع بيئته مادياً أو اجتماعياً".

ويعرفه علاء الشعراوي (١٩٩٧) بأنه " يعبر عن اعتراف الطفل بالمستويات الاجتماعية واكتسابه للمهارات الاجتماعية والتحرر من الميول المضادة للآخرين".

كما يعرفه نيكولاس Nicholas (١٩٨٤) بأنه " العملية المستمرة التي يقوم بها الفرد للتكيف والتلاؤم مع المحيطين به من أجل إشباع حاجاته المختلفة".

(بديعة نبهان، ٢٠٠١: ٢٣)

### **التوافق النفسي: Psychological Adjustment**

يعد مفهوم التوافق من المفاهيم الأساسية في علم النفس الأمر الذي جعل الكثيرين يعرفون علم النفس على أنه " العلم الذي يهتم بعمليات التوافق العامة للكائن الحي في بيئته ويهتم بدراستها. إلا أن هذا المفهوم لاقي قدرًا من الاتفاق عليه بنفس قدر الاختلاف حوله، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها؛ تعقد الظاهرة الإنسانية، تعدد وجوها إضافة إلى أن التوافق من المفاهيم التي تحاول إظهار العلاقة بين متغيرين أحدهما الإنسان والآخر البيئة. (رشاد صالح، ١٩٩٥ : ٩٧)

### الاتجاهات الرئيسية في تعريف التوافق:

#### ١- الاتجاه الفردي: Individual Attitude

يرى أصحاب هذا الاتجاه إن التوافق يمثل إشباعاً لحاجات الفرد التي تثيرها دوافعه سواء كانت حاجات عضوية أو اجتماعية.

#### ٢- الاتجاه الاجتماعي: Social Attitude

يرى أنصار هذا الاتجاه في التوافق أنه المسايرة للمجتمع وموافقته على معايير وأنماطه السائدة، وهنا يكون التحول من الطفولة إلى البلوغ ومن دائرة الأسرة إلى محيط البيئة الخارجي، الأمر الذي يدعو المراهق إلى إحداث سلوك توافقي وتغيير سلوكه وأسلوب حياته. ويعد المعيار الأساسي الذي يقاس به السلوك التوافقي لدى أصحاب الاتجاه الاجتماعي هو "قدرة الفرد على استخدام إمكانياته في مواجهة مستجدات الحياة".

#### ٣- الاتجاه التكاملي: Integrative Attitude

يرى أصحاب هذا الاتجاه إن التوافق عبارة عن "عملية موائمة بين حاجات الفرد ومطالب البيئة"، فهي عملية مركبة من عنصرين أساسيين يمثلان طرفي المتصل Continuum أحدهما: الفرد بحاجته ودوافعه، وثانيهما: البيئة بمكوناتها المادية والاجتماعية والقيمية. (رشاد صالح، ١٩٩٥ : ٩٩)

ويرى غريب عبد الفتاح (١٩٩٣ : ٩٧-٩٨) إن التوافق يعني " التحرر من التوتر ومن الحاجة والشعور بالارتياح بعد تحقيق الهدف"، فالشخص عندما يشعر بالجوع يتناول الطعام فيخفف دافعه، ويشعر بالارتياح. وعندما يتعب يسع للحصول على قسط من الراحة ويعتبر التوافق مرادفاً للعادية Normality أو الصحة health وهو تلك العلاقة المتناغمة Harmonious بين الفرد وبيئته حيث تتضمن القدرة على إشباع أغلب حاجاته ومقابلة أغلب مطالبه الفسيولوجية والاجتماعية.

ويذكر صلاح مخيمر (١٩٨٧) أن التوافق هو " الرضا بالواقع المستحيل تغييره" (وهذا جمود وسلبية واستسلام)، وتغيير الواقع القابل للتغيير (وهذا مرونة وإيجابية وابتكار)؛ ويرى أن عملية التوافق تتضمن إما تضحية الفرد بذاتيته نزولاً على مقتضيات العالم الخارجي وثمناً للسلام الاجتماعي، أو تتضمن تشبث الفرد بذاتيته، وفرضها على العالم الخارجي، فإذا فشل أصبح عصبياً وإذا نجح أصبح عبقرياً.

ويضيف "جرو" Gerow (١٩٨٩ : ٢-٥) أن التوافق هو "حالة من العلاقة المتجانسة مع البيئة التي يستطيع الفرد فيها الحصول على الإشباع لمعظم حاجاته وأن يحقق المتطلبات الجسمية والاجتماعية".

كما يرى حامد زهران (٢٠٠١ : ٢٧) أن التوافق "عملية ديناميكية مستمرة، تتناول السلوك والبيئة (الطبيعية، الاجتماعية) بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن الفرد وبيئته". وهذا التوازن يتضمن إشباع حاجات الفرد، وتحقيق متطلبات البيئة. ويشير حامد زهران في هذا الصدد إلى أن "البعض ينظر إلى الصحة النفسية باعتبارها عملية توافق نفسي، ويتحدد ما إذا كان التوافق سليماً، أو غير سليم تبعاً لمدى نجاح الأساليب التي يتبعها الفرد للوصول إلى حالة التوازن النسبي مع بيئته".

كما يرى "رشاد صالح" (١٩٩٥) إن عملية التوافق مهما اختلف تعريفها فإن لها العديد من الخصائص لعل أهمها:

#### ١- التوافق عملية كلية:

أي يشير إلى الدلالة الوظيفية لعلاقة الإنسان باعتباره كائناً حياً بتفاعله مع بيئته المحيطة بكيانه كله. وهنا يكون الاتفاق هو التفاعل الكلي الشمولي بين الفرد بكليته والبيئة المحيطة به.

#### ٢- التوافق عملية ديناميكية:

فالتوافق لا يتم دفعة واحدة وبصفة نهائية ولكنه يستمر باستمرار الحياة، والدينامية تعني في أساسها أن التوافق يمثل المحصلة، أو ذلك الناتج الذي يتمخض عنه جماع القوى المختلفة بعضها ذاتي والآخر بيئي، كذلك فإن القوى الذاتية فطرية والآخر مكتسب، كذلك القوى البيئية بعضها (مادي) وبعضها (اجتماعي) والتوافق هو المحصلة النهائية لكل هذه القوى.

#### ٣- التوافق عملية إرتقائية:

إن التوافق لا يمكن التعرف عليه إلا بالرجوع إلى مرحلة النمو التي يعيشها الفرد، فالراشد يعيد توازنه مع البيئة بأسلوب الراشدين، ويتخطى بأسلوبه كل المراحل السابقة من النمو أما إذا ثبت عند مرحلة من المراحل السابقة وتوقف عندها، فإن ذلك يعني سوء توافق ونكوص إلى مراحل سابقة؛ ويعني ذلك إن السلوك المتوافق في مرحلة نمو سابقة يعد سلوكاً لا توافقياً أو مرضياً إذا استخدم في مرحلة نمو تالية.

#### ٤- التوافق عملية وظيفية:

إن التوافق ينطوي على وظيفة أساسية هي: تحقيق التوازن مع البيئة، وهنا يجب أن نفرق بين "التكيف، والتلاؤم" Adaptation الذي لا يعدو عن كونه مجرد تكيف ولقد إتجه بعض العلماء إلى التمييز بين "التوافق التكيفي الذي يشمل حلولاً إنشائية وأنماطاً سلوكية مبتكرة"، و"التوافق التكيفي الذي يتم على حساب وحدة الشخصية فيكون بمثابة حلول تفكيكية للشخصية تبدو ذات طابع مرضي، كما تعد نكوصاً للمراحل السابقة".

(Zimbardo, 1979:97)

## ٥- التوافق يستند إلى طبوغرافية النفس :

إن مدرسة التحليل النفسي تنظر إلى طبوغرافية الشخصية والذي تعتبره هذه المدرسة مستودع الطاقة النفسية الذي يغذي النظاميين الآخرين ويطلق عليه اسم الهو (ID) ، وثاني هذه الأنظمة هو النظام الإداري للشخصية أو الأنا (EGO) وهو نظام يعمل أساساً وفق مبدأ الواقع، وهذا المبدأ الذي يعتمد عليه النظام الإداري للشخصية يتحكم في العمليات العقلية والمعرفية العليا، كما أنه يسيطر على منافذ السلوك ويختار من البيئة الجوانب المناسبة، وثالث هذه الأنظمة النظام الأخلاقي للشخصية أو الضمير (Super EGO) أو ما يقوم به هذا النظام هو إصدار الأحكام على ما يفعله النظام الإداري أو ما ينوي القيام به.

وبناءً على ما سبق فإن التوافق من زاوية طبوغرافية هو المحصلة التي تنتج صراع جميع القوى سواء كانت ذاتية أم بيئية وهو في نهاية المطاف صراع بين النظام الإداري والنظام الأساسي، وأحياناً بين النظام الإداري والنظام الأخلاقي للشخصية وعندما ينجح النظام الإداري في حسم الأمور يظهر التوافق جالياً للعيان.

## ٦- التوافق عملية اقتصادية:

إن المجال الذي ينشأ فيه الطفل يؤثر في نموه تأثيراً كبيراً فإذا ساعد هذا المجال على إشباع حاجات النظام الأساسي للفرد بيولوجية كانت، أم نفسية أثر ذلك إيجابياً في أساليب توافقه ، أما إذا تعددت مواقف الحرمان وزادت مدتها فإن التوتر يبقى ملازماً لحاجات النظام الأساسي وسوف تعاني الشخصية من الاضطراب والصراع.

ومما سبق فإننا إذا أخذنا في الاعتبار أن التوافق يتضمن بعدين أساسيين هما (التوافق الشخصي والتوافق الاجتماعي)، فإن التوافق الشخصي يتعلق بالتنظيم النفسي الذاتي بمعنى التوفيق بين النظام الإداري للفرد ونظامه الأخلاقي ومن هنا يتحقق للفرد الرضا عن النفس إلى جانب الخلو من التوترات والصراعات المقترنة بالشعور بالذنب. أما التوافق الاجتماعي فإنه يتصل بالعلاقات بين الفرد والآخرين، ولهذا فإن تقبل الآخرين للفرد بعينه على تقبله لذاته، ومما يساعد الفرد على تقبل الآخرين له مدى قدرته على ضبط النفس، وتحمله المسؤولية وتكوين علاقات وثيقة مع الآخرين، وإشباع حاجتهم المشروعة، أيضاً علاقة الفرد مع البيئة فهي علاقة تفاعل بين الفرد والبيئة بكل مكوناتها وإذا حدث هذا التفاعل بشكل واعٍ من الفرد فينتج عن ذلك الوعي رضا الفرد عن ذاته، ورضا الآخرين عن علاقته بهم، ومن هنا ينتج التوافق بين الفرد والآخرين، وبين الفرد وبيئته.

(رشاد صالح دمنهوري، ١٩٩٥: ١٠٣)

وترى الباحثة أن هذين البعدين من أبعاد التوافق الشخصي، والاجتماعي يرتبطان ببعضهما أشد الارتباط، حيث أن الفرد حينما يكون راضياً عن ذاته وقادراً على التوفيق بين احتياجاته ودوافعه بشكل يرضي ذاته ويحقق له قدراً كبيراً من التوازن الذي يساعده على إدراكه لحقوق الآخرين، وكيفية تكوين علاقات طيبة مع الأسرة، والمدرسة، وعلاقاته الإيجابية مع بيئته، فإن هذا الفرد يمتاز بتوافق (شخصي واجتماعي) مما يجعله قادراً على مواجهة متطلبات حياته الشخصية والاجتماعية في كل مراحل حياته والتوازن بينها وبين متطلبات البيئة بكل أبعادها.

### التوافق الدراسي: Scholastic Adjustment

يذكر فؤاد البهي السيد (١٩٧٤ : ٣٧) أن من أهم متطلبات النمو هو "التوافق المدرسي"، والحياة المدرسية بأسرها عبارة عن "سلسلة من عمليات التوافق"، فهي أكثر اتساعاً من البيئة المنزلية، وتكفل المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الذي يساعده على النمو، وتجمع بينه وبين أقرانه، ويتدرب على التعاون والنشاط والمناقشات، والمشروعات الجماعية، ويلتزم حدود المدرسة السوية.

ويعرف "بسوز" و"آجروول" Biswos & Agarwol (١٩٧١) التوافق الدراسي بأنه "عملية للتكيف مع البيئة المدرسية لإشباع حاجات الطالب".

ويرى "م.ب يونجمان" Youngman (١٩٧٩ : ٢٥٨) أنه "يمكن التعرف على التوافق الدراسي للطلاب من خلال سلوكه المنتبه الهادئ والنشيط في التفاعل داخل حجرة الدراسة والمحافظة على النظام الذي لا يتحدث مع الآخرين أثناء الشرح، والذي لا يعرض نفسه للحرج من قبل الآخرين القائمين على تعليمه، والمؤدب والمطيع لأساتذته.

ويذكر إلهامي عبد العزيز (١٩٨٣ : ٢٣) أن المقصود بالتوافق الدراسي "ذلك التوافق النفسي السوي الذي نستطيع أن نتعرف عليه بالنسبة للطلاب في محيط كليته وأسرته".

أما عاطف عثمان (١٩٨٩ : ٤٢) فيرى أن أهم مطالب النمو التوافق الدراسي بمفهومه الشامل بمعنى التوافق مع المدرس والمواد الدراسية والتوافق مع الزملاء والمدرسين ومع الأسرة والجماعة والمجتمع.

وترى نشوى عمر الفاروق (١٩٩٠ : ٢٩) أن التوافق الدراسي "هو قدرة الطالب على التواءم والتلاؤم مع دنيا دراسته أي أن يكون ناجحاً في علاقته داخل مدرسته وخارجها مع زملائه من الطلبة ومع أساتذته، وأن يشترك في الأنشطة المختلفة في مدرسته وأن يكون

محباً لمواد دراسته وناجحاً في طريقة تنظيمه لوقته ويستذكر دروسه بطريقة سليمة وأن يكون مع هذا كله متفوقاً في دراسته".

ويرى فولكنر جوي Folkener, Joy (١٩٩٣ : ٢٠١) أنه " اتجاه الطالب نحو المدرسة والرغبة فيها، وقدرته على إتقان العمل المدرسي، والاتجاه نحو الفصل، والطاعة والبعد عن العصيان، وعلاقته الجيدة مع المدرس، والبعد عن القلق داخل الفصل، وتوافقه الاجتماعي، والتصور الأكاديمي للذات".

وتعقب "أمل محمد حسونة" (١٩٨٩ : ٥٨) على التناول البحثي للتوافق العام بقولها: "يلاحظ أن الباحثين الذين تناولوا التوافق العام اعتبروا أن التوافق الدراسي هو إحدى مظاهره، وبالتالي لم يهتموا بصياغة تعريف محدد للتوافق الدراسي، وإن كانوا تحدثوا عن أبعاده المختلفة واعتبر الباحثون المظاهر المتعددة للتوافق (العقلي، الديني، المهني، الدراسي.... الخ)، يمكن ضمها إلى بعضها البعض لتشكل العنصرين الأساسيين لبعدي التوافق، وهما "البعد الشخصي، والبعد الاجتماعي".

وترى الباحثة أنه "من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تلعب دوراً هاماً في تشكيل المراهق أثناء فترة الدراسة هي "المدرسة" وإذا تلقى الطالب مواد الدراسة بتقبل نفسي، وأحب مدرسته وكانت علاقاته بزملائه وبيئته المدرسية جيدة فإن ذلك يساعد المراهق على التوافق العام (الشخصي، الاجتماعي)، معنى ذلك أن التوافق الدراسي يرتكز على العلاقات الاجتماعية مع المدرسين والزملاء، ويرتبط بالنشاط المدرسي وخاصة (المسرح المدرسي، والأنشطة الرياضية والاجتماعية) مما يساعد المراهق على اكتساب المعلومات الجديدة، والخبرات المفيدة، حيث إنه يحتاج إلى مخزون ثقافي ليكون شخصيته وثقته بنفسه وثقته بالعالم الخارجي من حوله.

ويشير محمد عثمان (١٩٩٣ : ٣٦) إلى أن "التوافق النفسي هو درجة من درجات الصحة النفسية يتناول السلوك والبيئة بالتعديل، والتغير حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته بحيث يقل التوتر الحاجة إلى أقصى حد ممكن ويتحقق الارتياح بعد تحقيق الهدف".

ويرى علاء الدين كفاقي (١٩٨٩ : ٢٧٠) أن الأسرة هي "المساعد الأساسي للفرد للحصول على توافقه الشخصي والاجتماعي، وأن عملية التنشئة الاجتماعية التي يكون للأسرة القدر الأكبر فيها ليست كلها تلقائية، ولكن الجزء الأكبر منها مقصود، ومتعمد، وموجه لتكوين شخصية المراهق للسلوك بشكل مرغوب فيه حسب جنسه، وسنه".

• قدم رالف تيندال Tindal (١٩٥٩) سبعة مظاهر للتوافق هي:

١- المحافظة على تكامل الشخصية.

٢- المسايرة Conformity .

- ٣- التوافق مع متطلبات الواقع.
- ٤- المحافظة على اتساق أو ثبات الشخصية.
- ٥- النضج بما يتناسب والعمر.
- ٦- المحافظة على تحقيق تناغم انفعالي أفضل.
- ٧- زيادة الفاعلية في المشاركة الاجتماعية.

(محمد صلاح، ٢٠٠٥: ٦٤٤)

ومن خلال ما قدمه رالف تيندال (١٩٥٩) من مظاهر للتوافق ، ترى الباحثة أنه قدم أهم مظاهر للتوافق الشخصي والاجتماعي؛ حيث إن المحافظة على تفاعل وتكامل الشخصية مهم جداً للتوافق الشخصي للفرد، وأن مسايرة الأمور على ما هي عليه ومحاولة تعديل وإصلاح ما يمكن إصلاحه؛ من الأمور الهامة جداً لتوافق الفرد، كما أنه لابد من التوفيق بين احتياجات ومتطلبات الفرد ودوافعه حيث يرتبط ذلك بتوافق الفرد الاجتماعي، كما أن المحافظة الفرد على الثبات الانفعالي لشخصيته يعود بنا إلى الاتزان النفسي للفرد، حيث إن الثبات الانفعالي هنا يعني الحفاظ على المبادئ الصالحة والمعاني القيمة لدى الفرد والمحافظة على قيمه وعاداته وتقاليده. أيضاً المظهر السادس في غاية الأهمية حيث أنه ينبع من ذات الفرد في محاولته للحفاظ على التناغم الانفعالي بينه وبين ذاته وبيئته وهنا يستقي التوافق قيمته من الصحة النفسية ويكون نتاج ذلك زيادة الفاعلية في المشاركة الاجتماعية التي تدل على التوافق النفسي السليم، وهذا ما تود الباحثة التعقيب عليه، فزيادة الفاعلية في المشاركة الاجتماعية من قبل المراهق تزيد من فاعليته الذاتية وتوافقه الشخصي والاجتماعي.

وفي ضوء ما تم استعراضه لمفهوم التوافق الشخصي والاجتماعي، ترى الباحثة أن التوافق الشخصي والاجتماعي عبارة عن " اتفاق إيجابي مبرم بين الشخص وذاته، وفيه يتفق الشخص على مواجهة القوى المتصارعة المحيطة به، وكيفية التواءم مع بيئته، وذاته، ودوافعه، ووسطه المحيط، ويتم ذلك الاتفاق من خلال التكيف مع الوضع الاجتماعي والاقتصادي مما يحقق الرضا عن النفس والشعور بالسعادة".

### ثالثاً: المناخ الأسري: Family Climate

تمثل الأسرة الركيزة الأساسية في تخطيط وبناء شخصية الأبناء من خلال الرعاية الدينامية معهم، كما تؤثر الفاعلية الوالدية الهادفة في صياغة شخصيتهم المستقلة بتدريبهم على التعامل مع المشكلات التي يواجهونها بكفاءة، والسعي لإنجاز أعمالهم، حيث توجد علاقة إيجابية بين الفاعلية الأبوية الداعمة، والفاعلية الذاتية للأبناء المثابرين على تحقيق أهدافهم. (أنور فتحي عبد الغفار، ٢٠٠٣ : ١٠١)

ويذكر هيرش Hirsch (١٩٨٥ : ١٥٤) أن الأسرة تمثل أكثر المؤثرات البيئية أهمية وتأثيراً على شخصيات الأفراد من جهة، ونمو هذه الشخصيات من جهة أخرى في مهد الشخصية The Cradle personality، والأسرة هي الجماعة الأولية التي تمد الأبناء بخبرات الحياة وينتمون إليها دون اختيار منهم.

ويرى علاء الدين كفاي (١٩٩٩ : ٥) أن السياق الأسري، سياق بالغ التفرد والخصوصية فالأسرة هي المؤسسة ربما الوحيدة التي ينتمي إليها الفرد ويكون على استعداد للتضحية بكل ما يملك من جهد أو وقت، أو مال، أو خبرة، في سبيلها، وفي سبيل أفرادها، وأن العلاقات بين أفرادها تتسم بالعمق والحساسية وأن لها تأثيراً خطيراً في نمو شخصية الفرد، وأن هذا التأثير الحاسم للأسرة على شخصية الفرد، والذي يزداد وضوحاً مع تقدم البحث العلمي بات إحدى الحقائق القليلة التي يسلم بها علماء النفس من مختلف الاتجاهات مع اختلافهم في تفسير هذا التأثير وآلياته.

كما ترى هدى قناوي (١٩٨٣ : ٥٦) أن دور الأسرة وفعاليتها لا يقتصر على المراحل الأولى في حياة الفرد، بل يمتد ويظل مؤثراً طوال مراحل حياته، حيث يظل تأثير هذه البيئة قائماً حتى مرحلة متأخرة من العمر.

وتذكر عفاف الكومي (٢٠٠٢ : ٢) أن الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ومن خلالها يحقق الزوجان الإشباع البيولوجي، والنفسي، والاجتماعي، وذلك وفقاً لأسلوب يرتضيه المجتمع والقانون، والقاعدة أنه ينشأ عن الزواج أجيال جديدة تحافظ على النسل البشري وتنتقل من خلالها العادات، والتقاليد، والقيم، الموجودة بالمجتمع.

وبما أن الجماعة الأولية التي يعيش فيها المراهق هي الأسرة، فإن للأسرة التأثير الأكبر على ذلك المراهق والذي يكون أقوى من تأثير كل الجماعات الأخرى المحيطة بذلك المراهق، حيث أن فترة التنشئة الاجتماعية للطفل من أقوى المراحل التي تشكل ذلك الطفل وتعيش معه في كل مراحل حياته.

ويذكر يوسف ميخائيل (١٩٨٤ : ٢٧٩) أن للأسرة دوراً هاماً في حياة المراهق ويبدأ هذا الدور مبكراً فمسئولية الأسرة تبدأ منذ اللحظة الأولى التي تعرف فيها الأم بحملها فتكون مسئولة عن توفير المناخ الجسدي والنفسي الأمثل لهذا الجنين ويخطئ من يتصور أن

المسئولية في هذه المرحلة تقع على عاتق الأم فقط، ولكنها مسئولية مشتركة بين الوالدين، فإن للأب أيضاً دوراً كبيراً فيها لأن هذه الفترة يمكن أثنائها التعرف على التغيرات التي تحدث فيها ومن ثم اتخاذ القرارات بشأنها وتتزايد هذه المسئولية أكثر بعد أن يولد الطفل.

ويرى أحمد عزت راجح (١٩٩٩ : ٦٢٥) أن مهمة الأسرة أصبحت أكثر تعقيداً عن ذي قبل، فلم يعد المراهق بحاجة إلى إشباع الحاجات الأساسية فقط ولكن تزايدت جسامته الأعباء، وتعددت أدوار الأسرة مع المراهق وذلك لأن الأسرة أصبحت تكون شخصية المراهقين، وتزودهم بالأساليب الناجحة للتفاعل، والتكيف مع الحياة، وبالإضافة إلى ذلك فقد تغير المراهق وأصبح أكثر جرأة وتحراً، ويقع تحت تأثير وسائل متعددة منها السينما، والفضائيات، والفيديو، والتلفزيون، والإنترنت، مما أضاف مسئولية أكبر على دور الأسرة كمتابع ومراقب.

### **مفهوم الأسرة:**

يُعرف قانون الأحوال الشخصية الأسرة على أنها "الخلية الاجتماعية الأولى التي تشمل الزوج والزوجة والأولاد والأقارب من العصبين وذوي الأرحام".

ويشير مصطفى فهمي (١٩٧٩) أن الأسرة في وضعها الأساسي عبارة عن "وحدة إنتاجية، بيولوجية تقوم على زواج شخصين ويترتب على الزواج عادة - نتاج من الأطفال وهنا تتحول الأسرة إلى وحدة اجتماعية تحدث فيها استجابات الطفل الأولى نتيجة التفاعلات التي تنشأ بينه وبين والديه وإخوته".

ويذكر "بيل" و "فاجيل" Bell & Vagel (١٩٦٨) أن "الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الجوهرية، وهذه الوظائف جميعها اجتماعية، أي أنها تتداخل وتتفاعل مع أبنية المجتمع"، فالأسرة هي المسئولة عن الاستمرار المادي للمجتمع والحفاظ على النوع الإنساني، وذلك بإمداده بأعضاء جدد عن طريق التناسل وإنجاب الأطفال وبهذا تحفظ له كيانه العضوي. ولا يعني المحافظة على الاستمرار المادي للمجتمع الإنجاب فقط ولكن على الأسرة أن تتولى رعاية أطفالها بعد الإنجاب جسماً وصحياً، ويتم ذلك من خلال الإنفاق المادي عليهم من حيث توفير الغذاء والحياة الصحية المناسبة والتي تؤدي إلى النمو السليم للأطفال ويساعدهم على تحقيق نمو أفضل في ظل ظروف مناسبة. فالأسرة تعني بحاجة المجتمع الحيوية من خلال تزويده بالأعضاء الجدد، وكذلك تحيط أطفالها بحمايتهم وتنشئهم بالتربية والتوجيهات اللازمة لتنمية شخصيتهم.

(Bell, Norman & Vagel, 1968: 577)

### **الأسرة والتنشئة الاجتماعية: Socialization**

ترى رمزية الغريب (١٩٨٠ : ١٢٥) أن الأسرة هي " المجتمع الإنساني الأول الذي يتلقف الوليد بالتهذيب والتعليم ، ويفضل هذه المؤسسة يتحول الكائن الإنساني من معطي بيولوجي إلى هوية ثقافية إنسانية، وذلك إذا حفلت هذه المؤسسة وغيرها بالعلاقات الإنسانية، واتفق الوالدان على أسلوب التدريب والتهذيب.

كما يرى فايز قطار (١٩٩٣ : ١٥٦) أن طريقة التنشئة تختلف من أسرة إلى أخرى حيث تستخدم بعض الأسر أسلوب التعامل القائم على الحوار المتبادل مع المراهق، وأخذ آرائه بعين الاعتبار، والإصغاء إليه بحيث يتمكن من التعبير عن ذاته بحرية، فالطريقة القائمة على التوجيه المعتمد على الديمقراطية والتسامح تمهد إلى النمو والنضج، وتنمية الاستقلالية والاعتماد على الذات، وتعزيز الثقة بالنفس، والتي تعتبر محددات أساسية لفاعلية الذات لدى المراهقين.

ويذكر علاء الدين كفاي (١٩٨٩) أن عملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتحول من خلالها الوليد من مستوى الكائن البيولوجي إلى مستوى المواطن أو العضو في الجماعة، فالتنشئة الاجتماعية تحول استعدادات الفرد إلى قدرات، أي من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، ويتم هذا التحول من خلال أوساط أو وكالات معينة، وهي: الأسرة، المدرسة، الجماعة (الرفاق)، وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى. كما يشير إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية لها سمات معينة هي:

- إن سلوك الفرد يرتبط تدريجياً بالمعاني التي يكتسبها من المواقف التي يتفاعل معها.
- تتحدد المعاني بالخبرات السابقة التي مر بها الفرد وعلاقتها بالمواقف والخبرات الحالية.
- أنه يولد في جماعة حددت من قبل معظم المعاني للمواقف المختلفة التي تواجهها، أو حددت قواعداً للسلوك، ويتأثر الطفل بهذه المعاني، وتصبح جزء من تكوينه.

(علاء الدين كفاي، ١٩٨٩ : ١٤ ، ٢٦٨)

وترى الباحثة أن للتنشئة الاجتماعية أهمية كبيرة بالنسبة للمراهق وخاصة المؤثرات، والخبرات البيئية التي يتفاعل معها حيث يعتبر المنزل من أهم المؤثرات في تكوين مفهوم المراهق عن ذاته، ولا يقتصر دور الأسرة على تكوين ذات المراهق، ولكن الأسرة تعطي ذلك المراهق العديد من الخبرات في تقديم مواقف مختلفة له، فإذا كانت هذه الخبرات سليمة فإن المراهق يستمد تكوين ذاته ، وتكون ذاتاً قوية من هذه المواقف، أما إن كانت مواقف سيئة وسلبية، فيتكون لدى ذلك المراهق الذات الاعتمادية، الأنانية، التي تتسم باللاسوء، أيضاً لابد من اختيار العلاقات الأخرى بشكل سوي من (أصدقاء، وزملاء في الدراسة أو في

النادي، ....الخ) ولن يتم ذلك الاختيار من قبل المراهق بشكل سليم إلا إذا كانت لديه خبرات ذكية قوية مستقاة من أسرة سوية.

### **اضطرابات التنشئة الاجتماعية:**

يرى حامد زهران (١٩٧٧ : ١٢٠) أن هناك بعض الأسر التي تستعمل أساليب التنشئة الاجتماعية بشكل خاطئ، وهذه التنشئة الخاطئة تترك آثاراً سلبية على شخصية المراهق.

فالتنشئة التي تقوم على الرفض ونقص الرعاية والحماية والافتقار إلى الحب، تؤدي إلى الشعور بعدم الأمن والشعور بالوحدة والسلبية، والخضوع، وسيطرة مشاعر العدوان، والتمرد، وعدم القدرة على التفاعل مع الآخرين بوجه عام.

كما يرى حامد زهران (٢٠٠١) أن أي شيء يعوق عملية التنشئة الاجتماعية، والتطبيع الاجتماعي، والاندماج الاجتماعي يعتبر مصدراً للضغط والاضطراب النفسي ولاشك أن التنشئة الاجتماعية غير السوية تخلق إحباطات وتوترات لدى الفرد، ومن أمثلة ذلك:

### **- الاضطرابات في الأسرة:**

- الوالدان : تتمثل اضطرابات الأسرة الخاصة بالوالدين في الزواج غير السعيد والخلافات بين الوالدين، والخianات الزوجية، وعدم التكافؤ بين الزوجين، اقتصادياً، أو ثقافياً، أو اجتماعياً، أو دينياً، والهجران، والانفصال، والطلاق، والوالدان العصايبان، ومشكلات تنظيم النسل. وكون الوالدان نموذجاً سيئاً للطفل، والمثالية، وارتفاع مستوى الطموح، والأم العاملة، وقلة عنايتها بالأطفال والأسرة.
- الطفل: تتمثل اضطرابات الأسرة الخاصة بالطفل في: الاسم الذي لا يقبله الفرد أو يشعر أنه سبة ويرغب في تغييره، والدين إذا أدرك أن فيه القسوة والتهديد والوعيد، واللغة والطرق غير السليمة في تعليمها كما يحدث في التعليم بلغات أجنبية، وإهمال اللغة القومية.
- الوالدان والطفل: تتمثل اضطرابات الأسرة الخاصة بالوالدان والطفل معاً في: الاتجاه السالب نحو الطفل وعدم الرغبة فيه وكرهه قبل مجيئه، والاتجاه السالب نحو جنس الطفل (رغبة الوالدين في ذكر بدل أنثى أو العكس)، والرفض، أو الإهمال، ونقص الرعاية، والحماية الزائدة (التدليل، والتسلط، والسيطرة)، وشدة التعلق بالوالدين والاعتماد عليهما، واضطراب العلاقة بين الوالدين والطفل.
- الطفل والإخوة: تتمثل اضطرابات الأسرة الخاصة بالطفل والإخوة في : ميلاد طفل جديد في الأسرة، والخطأ في تحويل كل الحب والعطف والاهتمام نحوه، وترك الآخرين،

واضطراب العلاقة بين الأخوة والغيرة بين الإخوة، وشعور الطفل بالاختلاف عن غيره في المعاملة.

- الطفل والأسرة: تتمثل اضطرابات الأسرة الخاصة بالطفل والأسرة في : التغير في حالة الأسرة والمستوى الاجتماعي الاقتصادي الضعيف، وانحراف معايير الأسرة عن المعايير الاجتماعية، وعدم استقرار الأسرة، وزيادة حركتها جرياً وراء لقمة العيش. (حامد زهران، ٢٠٠١: ١٢٣)

وتعقب الباحثة على العرض السابق للتنشئة الاجتماعية فتري أنه إذا توافر للمراهق تنشئة اجتماعية سليمة ومناخ نفسي يتسم بالسواء فيعتبر ذلك بمثابة جسر يعبر عليه ذلك المراهق ويحمل معه مرحلة المراهقة إلى مرحلة أكبر وأفضل وهي مرحلة الرشد، أما إذا كان هناك اضطراب أو خلل في تنشئة ذلك المراهق لأي سبب من الأسباب السابق ذكرها، فلا حرج على ذلك المراهق إذا ارتكب أخطاءً جسيمة، وعرض نفسه وطموحه وآماله إلى الخطر، ولا حرج عليه إن انتهى به المطاف إلى الانحرافات بكافة أشكالها، فالمراهق أضعف بكثير من أن يتحمل هذه المرحلة الصعبة الحرجة وحده.

### مفهوم المناخ الأسري: Family Climate

يقصد "بالمناخ الأسري Family Climate الجو العام السائد في محيط الأسرة" ويعبر هذا المناخ عن المحصلة الكلية المميّزة لخصائص الأسرة كبيئة تربية من حيث أساليب التنشئة الاجتماعية، والكيفية التي تدار بها كجماعة أولية، وطبيعة شبكة العلاقات والتفاعلات وأنماط الاتصال بين أعضائها، وتوزيع الأدوار والمهام التي توكل إلى كل منهم.

(عبد المطلب أمين القريطي، ٢٠٠٣: ٤٥٢)

ويشير فيلدمان وجرينج Feldman & gehring (١٩٨٨) إلى أن هناك مفهومين أساسيين يستخدمان لوصف المناخ الأسري وهما التماسك "Cohesion" والسلطة "Authority" ويعني "التماسك" التقارب بين أفراد الأسرة أما "السلطة" فتعني مراتب النفوذ في الأسرة أو الترتيب الهرمي للسلطة بين أفراد الأسرة، ونجد أن وظيفة الأسرة تكون أكثر تأثيراً من خلال العلاقات الحميمة والجيدة بين أفراد الأسرة بعضهم البعض. والأسرة التي بها مشكلات يكون ذلك من خلال التحالف بين الأجيال حيث أنه (يتم التحالف من الأم مع الابن ضد الأب)، أما مفهوم السلطة فيؤكد على أنه يجب أن تكون السلطة في يد الوالدين ولكن تستخدم هذه السلطة بشكل ديمقراطي، وفي الأسر المضطربة فإن السلطة يمكن أن تتحرك وتنقل من الأب لأحد الأبناء.

(عمرو مصطفى، ٢٠٠١: ٦٩)

ويصف "موس" Moos (١٩٨١) المناخ الأسري بأنه عبارة عن " مجموعة تقييمات أو وجهات نظر أعضاء أسرة ما عن إدراكهم بصورة كلية لنوع العلاقات التفاعلية المتبادلة بينهم وتأثيرها عليهم.

كما يعرف محمد بيومي (٢٠٠١ : ١٦) المناخ الأسري على إنه "الطابع العام للحياة الأسرية من حيث توفر الأمان والتضحية والتعاون ووضوح الأدوار وتحديد المسؤوليات وأشكال الضبط ونظام الحياة، وكذلك أسلوب الحاجات الإنسانية، وطبيعة العلاقات الأسرية ونمط الحياة الروحية والخلقية التي تسود الأسرة مما يعطي شخصية أسرية عامة. حيث نقول (أسرة سعيدة، أسرة قلقة، أسرة مترابطة، أسرة متصدعة ..... وهكذا)".

وتعرف فوزية عبد الباقي (١٩٨٩ : ٢٢) المناخ الأسري بأنه " الخصائص المميزة لنمط العلاقات والتفاعل بين أعضاء الأسرة" ويتحدد المناخ الأسري بالاتجاهات والممارسات التي يتبعها الوالدان في تنشئة الأبناء وما تتسم به من دفاع وتقبل ومشاركة وجدانية، وتشجيع واستحسان، أو ما يقابلها من نبذ وإهمال وقسوة وتسلط.

ويشير إبراهيم قشقوش (١٩٨٩ : ١٢٠-١٣٥) إلى أن المناخ الأسري هو "تلك الأشكال والخصائص التي تحدد المنهج الذي يأخذه الوالدان في معاملة الأبناء وفي ممارسة سلطاتهم الوالدية معهم في العديد من المواقف الحياتية والتي تتضمن ثلاثة أشكال رئيسية مميزة للمناخ الأسري هي:

أ- الشكل الديمقراطي: ويقصد به "المناخ الأسري الذي يحرص فيه الوالدان على توضيح مغزى تصرفاتهم، ويرحبون بالحوار والتعايش مع أبنائهم في كل ما يعيشون أو يتعرضون له من مواقف وخبرات".

ب- الشكل الاستبدادي: ويقصد به "المناخ الأسري الذي يغلب عليه النزعة الاستبدادية من جانب الوالدين في كل ما يتعلق بالأبناء من أمور وقضايا دون أن يكون للأبناء حق إبداء الرأي فيما يراه الوالدان أو الاعتراض عليه".

ج- الشكل الفوضوي: ويقصد به "المناخ الأسري الذي يتخذ فيه الوالدان مواقف اللامبالاة من الأبناء دون أن يكون للوالدين دور واضح في تسيير أمور الحياة في الأسرة بل يتخذ كل عضو في الأسرة قراراته بنفسه وفق ما يتراءى له دون أن يأخذ في اعتباره ما يمكن أن يترتب على هذه القرارات من عواقب".

كما يشير علاء الدين كفاقي (١٩٩٩ : ١٣٧-١٤٧) إلى أن مفهوم المناخ الأسري "يتحدد بالعلاقات والممارسات التي يتبعها الأفراد داخل الأسرة وما تتسم به هذه العلاقات من أساليب سوية في التعامل مع الشخص كشيء وكأداة لتحقيق الأهداف، وليس ككفاية في حد

ذاته، وهو ما أطلق عليها (الأنسنة) في مقابل (اللائسنة)" ، كما أشار إلى أن هذه العلاقات الأسرية إما أن تتسم بحب حقيقي يعبر عن مشاعر ناضجة، أو تتسم بعلاقات يسودها حب كاذب يعبر عن حاجات نفسية غير مكتملة وغير ناضجة. وقد تتخذ من الأبناء وسيلة لتحقيق ما ينقصها، وهو ما أسماه بالتبادلية الكاذبة في مقابل الحب الحقيقي ، كما أشار إلى أن التفاعلات التي تبني اتجاهات تعلقياً أو تملكياً تجاه الآخر وهو ما أسماه بالمناخ الأسري المنغلق في مقابل المناخ الأسري المنفتح.

أما نبيل عبد الفتاح وآخرون (١٩٩٧ : ٢٤٣) فوصف المناخ الأسري بأنه "الجو الذي ينمو في إطاره الطفل والمراهق، وتتشكل الملامح الأولى لشخصيته وهو المصدر الأساسي لإشباع حاجاته واستثارة طاقاته وتنميتها وفي سياقها يتعرض الطفل لعملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي وفقاً لأساليب معينة ويشعر بردود الأفعال المباشرة تجاه محاولاته الأولى للكشف والتجريب وتكوين شخصية مستقلة لها طابعها وأهدافها الخاصة".

ويذكر عبد المطلب أمين القريطي (١٩٩٧ : ٤٣٥) أن هناك مصادر بيئية كثيرة تؤثر على سلوك الفرد وخصائصه، ومدى توافقه، ومن ثم مدى ما يتمتع به من صحة نفسية سليمة، وتلعب هذه المصادر أدواراً متباينة من حيث ما تسهم به من تأثير، سواء من حيث مقداره أو نوعيته، وهذه المصادر متداخلة فليس بينها حدود فاصلة وهي أقرب ما تكون إلى الدوائر ذات المركز الواحد التي تتسع شيئاً فشيئاً؛ أو إلى تلك الحلقات الموصولة التي تؤثر كل منها في الآخر وتتأثر بها بحكم الإطار الثقافي العام الذي يحكمها ولعل أهم هذه المصادر "الأسرة، المدرسة، المجتمع".

كما يرى علاء كفاي (١٩٩٩ : ١٢١) أن الأسرة هي أولى المصادر البيئية التي تؤثر على سلوك الفرد وخصائصه الشخصية، ويتضح ذلك من خلال طبيعة العلاقات والاتصالات التي تحدث في السياق الأسري، وتشابه الاتصالات الأسرية مع الاتصالات الأخرى إلا أنها تختلف عنها في شدتها، وذلك لأن هذه الاتصالات تحدث بين أفراد شديدي الصلة وتربطهم روابط وثيقة وهي روابط الدم بل يرتبط بعضهم ببعض أكثر مما يحدث في أي سياق إنساني آخر.

ويرى رجب شعبان (١٩٨٩ : ٢٤) أن المناخ الأسري عبارة عن "شبكة من العلاقات داخل المجتمع الأسري والتفاعل داخل هذه البيئة الأسرية وأدوار ومسئوليات أفراد ذلك المجتمع وأشكال الضبط التي تمارس وأسلوب إشباع الحاجات لدى هذه الأفراد داخل هذا المجتمع الأسري". كما يرى أن علاقات المراهق داخل الأسرة متداخلة فكل عضو فيها يؤثر في الآخر ، فتأثير علاقة المراهق مع الأم لا يمكن فهمها بشكل مستقل عن علاقة الأب بالأم وعلاقة الأب

بالطفل، فمن الضروري أن نضع في اعتبارنا نظام الأسرة الداخلي والنظر إلى الأسرة على أنها مجموعة من الأنظمة المتآلفة حددت بلغة التوالد الجنسي وحددت دور كل فرد فيها وإدراك أن الأنظمة الثانوية التي يشارك فيها أفراد الأسرة مؤثرة بعض العلاقات ثنائية وبعضها متعدد الثنائيات. وعملية التفاعل التي تحدث بين هذه الأنظمة سواء كانت ثنائية أو ثنائيات متعددة بينها علاقات متفاعلة تعبر عن درجة من درجات التجاوب والتفاعل المتبادل الذي يحدث عبر الحدود التي تفصل بين كل نظام وآخر.

كما يصف كولمان Coleman (١٩٨٠ : ٢٥٤) المناخ الأسري بأنه "المنهج الذي يستخدمه الوالدان عند تنشئتهم لأبنائهم وعند ربط سلوكهم ، ويشير إلى أن هذا المنهج في التربية يقسم إلى ثلاثة أساليب: أسلوب ديمقراطي - ديكتاتوري - فوضوي. وهو يرى أن الأسلوب الذي يستخدمه الوالدان يتوقف على عوامل منها "شكل الأسرة، وحجمها، ومستواها الاجتماعي والاقتصادي".

بينما نجد موس Moos (١٩٨٤) يتناول مفهوم المناخ الأسري بشكل يتفق مع إطاره النظري الذي يكشف عن الضغوط البيئية وكيفية مواجهتها لتحقيق التكيف الإنساني، والذي استفاد منه أيضاً في معرفة التغير والتطور الذي يحدث للبناءات الاجتماعية في الأسرة والمدرسة، ولقد تضمن هذا الإطار مجالات رئيسية وهي كالتالي:

العلاقات: أي مدى يرتبط الأفراد بعضهم ببعض ويساند كل منهم الآخر، أي "طبيعة العلاقات بينهم".

النمو الشخصي: أي اتجاهات النمو الذاتي التي تجد تأكيداً لها في المناخ.

المحافظة على النظام: أي البناء التنظيمي الأساسي لهذا المناخ.

(Moos, 1984: pp.8 – 9, Moos, R. & Moos, B. 1983: PP.158-159)

ويشير مينوشين Minuchin (١٩٧٤) إلى أن ظهور ونمو الاهتمام بالعلاج الأسري، يعكس الشعور المتزايد بأهمية النظام الاجتماعي للأسرة وأثره في نمو شخصيات الأبناء.

ولقد طور موس Moos (١٩٧٩) وهو أحد أهم رواد هذا المجال طريقة لتقدير الأنظمة الاجتماعية مستخدماً مفهوم البيئة المدركة "Perceived Environment" كتصور يمكن من خلاله تحديد مناخ الأوضاع Settings Climate بالإدراكات المشتركة لأعضاء موقف ما بالنسبة إلى عدد من الأبعاد البيئية. فقد وجد أن المناخات الاجتماعية المتنوعة (كالأسرة، المدرسة، ..... الخ) يمكن وضعها بأبعاد ثلاث رئيسية ومتماثلة فيها وهي "العلاقات، النمو الشخصي، النظام" ولكي يتوصل موس إلى ذلك، تبني "طريقة منهجية في

تحليل البيئة يطلق عليها اسم التحليل الوظيفي Functional Analysis أو تحليل التدعيم Reinforcement Analysis في البيئات، فقد افترض أن يقوم تصنيف البيئات وفقاً لأنماط الإثابة المتاحة في البيئة، أو التي يجري الاهتمام بها والتركيز عليها كأحد نظم تصنيف البيئات.

(Moos, 1979: 16-29)

ويذكر رجب علي شعبان (١٩٨٩) أن المناخ الأسري أصبح مفهوماً في نظرية المناخ الاجتماعي Social Climate Theory والتي تهتم بالعلاقة المتبادلة بين الفرد والبيئة، حيث تقضي النظرية بأن البيئة ذات "شخصية" أو تأثير يستدل عليه من إدراكات الأفراد للبيئات التي يعيشون فيها، وأن هذه الإدراكات تؤثر في سلوكهم التالي. وفي ضوء ما تم استعراضه لمفهوم المناخ الأسري ترى الباحثة أن المناخ الأسري السوي هو "الجو العام الذي ينمو بداخله أشخاص ينتمون إلى أسرة واحدة ويجعلهم ذلك المناخ بكل ما يحوي من سواء وتقدير للمسئوليات الموزعة على الأفراد القائمين عليه والمقيمين بداخله، متماسكين ومتقاربين وأقوياء، ويصبح بينهم إتفاق ذو اتجاهين (اتجاه فطري، واتجاه مكتسب) على توزيع المهام بشكل يلائم إمكانات وقدرات كل عضو من أعضاء ذلك المناخ، ويسهم ذلك المناخ السوي في صنع أشخاص أقوياء بما يكفي لمواجهة كل دخیل يعكر صفو أفراد ذلك المناخ".

### المناخ الأسري غير السوي: Abnormal Family climate

أثبتت العديد من الدراسات النفسية، والبحوث الاجتماعية، ودراسات الصحة النفسية أن هناك علاقة بين أنماط التفاعل الأسري، والعلاقات الأسرية من جانب، وبين نصيب الفرد من الصحة النفسية والاضطراب النفسي من جانب آخر.

وتحدث علاء الدين كفاي (١٩٩٧) في دراسة له عن "بنية الأسرة" ويقصد بها "شبكة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تربط بين أفراد الأسرة، وذكر أن على قمة هذه العلاقات طبيعة العلاقة بين الوالدين، ثم طبيعة العلاقة بينهم وبين كل فرد من أفراد الأسرة، ومدى توقعات كل أفراد الأسرة عن علاقة الأب والأم بهم، ومدى فهم هذه الأسرة لالتزامات الوالدين نحوهم.

كما أثبتت الدراسات النفسية أن "سلوك الوالدين تجاه بعضهم البعض يؤثر بشكل قوي على صحة الطفل النفسية، والعقلية، كما أثبتت هذه البحوث أن معظم الأطفال المشكلين يأتون من أسر ومنازل مفككة تكثر فيها الاحتكاكات، والخلافات بين الزوجين أكثر من الذين يأتون من منازل تتوفر فيها علاقات سليمة. (عثمان فراج، ١٩٩٦: ١٥)

## مفهوم المناخ الأسري المضطرب: Abnormal Family Climate

يرى علاء الدين كفاي (١٩٩٧ : ٢١٦) أن المناخ الأسري المضطرب يعد مفهوماً

للأسرة المنجبة للمرض حيث وضع له مجموعة من الخصائص وهي:

- (١) أن المناخ الأسري المضطرب يخلق أفراداً مضطربين وذلك من خلال أحد الأبناء.
- (٢) إن الفرد المريض يعتبر أضعف الموجودين في الأسرة، وأكثرهم تهيؤاً للاضطراب.
- (٣) أن المناخ الأسري المضطرب يحدث فيه بعض العمليات المرضية **Pathological Processes**.

(٤) إن لا سواء الأسرة يعني أن عمليات التفاعل داخل النسق الأسري ليست سوية، وذلك نتيجة الاتجاهات العاطفية المتفاعلة في الأسرة.

كما تصف زينب غريب (١٩٩٣ : ١٥) المناخ الأسري المضطرب بأنه " المناخ الذي تسوده التفرقة والتباعد بين أفراد الأسرة لوجود خلل ما في أداء الأسرة لوظائفها، ويترتب على هذا عدم تمتع الأفراد بدوافع كافية للإنجاز والتفوق، ولا بحرية في التعبير عن الآراء، ولا بالاهتمام بالنواحي الثقافية والعلمية والترفيهية، والدينية.

ويعرف علاء الدين كفاي (١٩٩٠ : ١٧١) المناخ الأسري غير السوي بأنه "مناخ مولد للمرض أي أنه أسرة مولدة للمرض **Family Pathogenic** ويقوم هذا الفرض على أساس أن هناك بعض الأسر بحكم بنيتها غير السوية يفصح عن اللاسواء في الأسرة من خلال أحد الأبناء، وعادة ما يكون هذا الابن أكثر الأبناء تهيؤاً للإصابة بالمرض، وقد يكون أساس هذا التهيؤ وراثته الطفل لقدر أكبر من الاستعداد للمرض، أو قد يكون ضعفاً في الجهاز العصبي، إذن فالمرض طبقاً لهذا الفرض ليس مرض فرد بل هو مرض أسرة أفصح عن نفسه من خلال أضعف الحلقات فيها، وهو الطفل الأكثر تهيؤاً للاضطراب، ويحدث في مناخ الأسرة المنجبة للمرض بعض العمليات والعلاقات غير السوية، والتي من شأنها أن تعجل بظهور الأعراض المرضية لدى أحد الأطفال أو لدى الطفل المهيأ للمرض.

وترى الباحثة أن التعريفات السابقة اتفقت على أن المناخ الأسري المضطرب **Abnormal Family Climate** هو مناخ مولد للمرض لأفراده وهو مناخ يسوده جو من التفرقة والتباعد بين الأشخاص المكونين للأسرة المضطربة، وأيضاً المناخ الأسري غير السوي به خلل للوظائف التي تقوم بها الأسرة، وهو مناخ بمجمله لا سواء فيه من حيث الشكل والمضمون.

كما ترى الباحثة أن ذلك المناخ المضطرب يؤثر بشكل سلبي على تفكير المراهق أثناء تواجده فيه، حيث إن ذلك المناخ السلبي لا يساهم بشكل إيجابي في تكوين ذلك المراهق بل

على العكس يحبطه ويجعل منه شخصاً لا يعتمد عليه، ودائماً يتمنى المراهق مغادرة ذلك المناخ غير السوي بل هجره وينتج عن ذلك الهجر الاضطراب في سلوك المراهق مما يسبب العديد من المشكلات التي من الصعب إيجاد حلول إيجابية لها وتكون نهاية ذلك المراهق التشتت وعدم الاتزان.

## العمليات اللاسوية في المناخ الأسري غير السوي

### Dehumanizing: اللا أنسنة

وتعني كلمة Dehumanize " أن تمحي الشخصية الإنسانية" أي أن يكون الإنسان كشياً، ومعاملة الإنسان على هذا النحو تعني تجريده من خصائصه الإنسانية، والنظر إليه كأداة لتحقيق الأهداف، وليس كغاية في حد ذاته، وتعني أيضاً " التشيؤ" وفي بعض الأحيان يكون المقصود "بالتشيؤ" التملك Possession، ويعني أن يكون الهدف الأساسي الموجه لمعاملة الأشخاص كأشياء وليسوا كبشر هو "التملك".

ويشير علاء كفاي (١٩٩٩ : ١٣٧) إلى أن العلاقة الإنسانية هي "إدراك الإنسان للأطراف الأخرى كما هم وليسوا كأدوات يستطيع من خلالها تحقيق أهدافه، "والتملك" نظرة يتبناها كثير من الرجال تجاه النساء، أو الوالدان تجاه الأبناء، ويبرر الوالدان أحياناً ذلك "بالحب" وهو ما يسميه علماء النفس بمفهوم "النرجسية" Narcism حيث يعتبر الوالدان الطفل على أنه حياة أخرى يستطيعون من خلالها تحقيق ما فشلوا في الوصول إليه.

ويشير إريك فروم إلى نوع من الحب العصابي Neurotic Love حيث أن المحب لا يتعامل مع شخصية الفرد الذي يشاركه حياته أو يتفاعل معه كما هو، ولكن يسقط صورة والديه على محبوبه، وقد تكون العلاقات مشوهة في الأسرة بحيث يسقط الفرد صورة شخص يكرهه على فرد من أفراد الأسرة، ويبدأ في عقابه مثل: "الزوج الذي يضرب زوجته باستمرار، لأنها تشبه أمه التي كانت قاسية عليه"، والزوجة المدللة في بيت أبيها تطلب نفس طريقة التعامل من زوجها". (عفاف الكومي، ٢٠٠٢ : ٢٩)

### الحب المصطنع: Affected Love

يذكر علاء الدين كفاي (١٩٩٩ : ١٤٠-١٤٢) أحياناً يكون الزوجان غير ناضجين من الناحية الانفعالية - بدرجة كافية فإنهما يؤلفان ثنائياً لا سويًا، ويتخيلان أن الزواج سوف يساعدهما على استكمال ذلك النضج ويحاول كل فرد منهما أن يخفي هذا العيب في شخصيته ونظراً لأن كثيراً من حاجاتهما النفسية غير مشبعة (الوالدان) واتزانهما النفسي والانفعالي غير مكتمل، فإن المراهق في هذه الحالة يتخذ كوسيلة لتحقيق ما ينقص الوالدان، ومن أهم ما يتعرض له المراهق أنهما يمنحاه نمطاً من الحب يكتشف المراهق أنه حب مصطنع

"Affected Love" أو حب زائف، ودائماً يطلب الوالدان من المراهق مطالب كثيرة، ويحملانه من المسؤولية أكثر مما يحتمل، كما يتطلب ذلك منه الطاعة الكاملة، والالتزام التام بقواعد الأسرة، بدون تفكير منه في توجيه أي انتقاد لأي جانب من جوانب حياة الأسرة.

وتذكر عفاف الكومي (٢٠٠٢ : ٣٠) أن المراهقين من الممكن أن يأخذوا دورين في الأسرة، "الدور الأول"، أن يتقبل المراهق هذا الحب بالرغم من معرفة أنه غير حقيقي، وبذلك يتعلم المراهق أول درس من دروس "المراوغة" ويبدأ في تصنع المشاعر كباقي الأفراد الموجودين في الأسرة، "والدور الثاني" أن يعرف الطفل حقيقة المشاعر المزيفة للوالدين، ويحاول الخروج عليها ويرفضها وبذلك تتوتر العلاقات بينه وبين أسرته لأنه يهدم لهم أسطورة العواطف النبيلة، ويالنظر للعلاقات داخل الأسرة من خلال منظور النسق، فإن الطفل الذي يتقبل المشاركة في هذه المشاعر المزيفة يكون جزء من النسق الأسري، أما الطفل الراض لهذه المشاعر فيوتر الأسرة ويجعلها في حالة من عدم التوازن.

#### الأسرة المدمجة: Merger Family

ويقصد بها عمليات الدمج "Merger" أو الانصهار "Fusion" ويذكر علاء كفاي (١٩٩٩ : ١٤٣-١٤٥) أن عمليات الدمج أو الانصهار التي تحدث كثيراً بين الثنائي الزوجي، وأحياناً ما تشمل الأسرة كلها، ويعني الدمج بين الزوجين تبني كليهما اتجاهات تعليقاً تملكياً لكل منها نحو الآخر ويتضمن هذا الاتجاه رسالة يرسلها كل طرف للطرف الآخر "أنني لا أستطيع الاستغناء عنك وأنني لا شيء بدونك" أما في حالة الاندماج بين الطفل وأحد الوالدين فإنهما يكونان نسقاً فرعياً (الطفل - الوالد) أو (الطفل - الوالدة)، ويسعى هذا النسق الفرعي - وخاصة من جانب الطرف الأقوى، وهو (الوالد) - لإبقاء النسق على حالة، بينما يكون من الطبيعي أن يكبر الطفل وينمو لأنه مع النماء تكون الرغبة في الاستقلال والانفصال عن (الوالد) وتكوين الشخصية المستقلة، وعندما يرفض (الوالدان) هذا الاستقلال يعوق ذلك نمو الطفل الاجتماعي والنفسي ويقلل من فرصة توافق الفرد، ويمكن أن يحدث ذلك بين كل أفراد الأسرة، ولا تسمح لأفرادها بالاستقلال والتفرد، وتكون الأسرة نسقاً مغلقاً. وللأسرة المدمجة قانون ومحرمات، فنجدها ترفض مناقشة ذوي النفوذ في الأسرة، وإذا انحرف أحد الأفراد من الأسرة فإن الأسرة تلومه وتحاول إرجاعه مرة أخرى إليها.

#### المناخ الوجداني غير السوي: Abnormal Affective Climate

وهو ذلك المناخ الذي يسود فيه نوع من التناقض بين ما يبدو على السطح، وما يحدث في الداخل، ويصف "أكرمان" المناخ الأسري الوجداني غير السوي Abnormal Affective Climate فيرى أن الأسرة فيه يكون بها تناقض بين ما يبدو على سطح

العلاقات بين أفراد الأسرة، والذي يعطي انطباعاً بأن هذه الأسرة تتسم بالهدوء والثبات، والاستقرار، ولكن هذا الهدوء ليس له أسس قوية في الأسرة في العلاقات التي تربط بين أفرادها ولذا فهذا الثبات أميل إلى الركود، كما ينتشر في الأسرة نوع من الموت الوجداني، وهو جو يصبغ المعاملات بين أفراد الأسرة بصبغة اكتئابية تتسم بالحد الأدنى من التلقائية والحيوية، والحركة الحرة، ولأن الهدوء ظاهري فقط ومصطنع فإنه يحدث من آن لآخر - وأحياناً تمزقه بعض الثورات الانفعالية العنيفة التي تبدأ من حادث صغير تافه، ولكنها سرعان ما تجتاح الأسرة كلها وينقلب الهدوء إلى إثارة غامرة وذعر شديد، وكما هبت ثورة فجأة، تنطفئ فجأة هذه الثورة ويعود الوضع كما كان عليه من شكل مصطنع غير حقيقي. (علاء كفاي، ١٩٩٩ : ١٩٩)

### جمود الأدوار في الأسرة:

تختلف عملية الأسرة المدمجة كعملية تفاعلية في المناخ الأسري المضطرب عن الأسرة التي بها جمود في الأدوار حيث إن الأسرة المدمجة لا يتضح لها دور، وكل الأدوار في الأسرة يكون بها نوع من الاختلاط، ويعوق جمود الأدوار في الأسرة نمو المراهق، بحيث لا يتيح له أي قدر من الحرية أو الاستقلال لأنه يتصرف وبشكل دائم في حدود الأوامر التي يتلقاها من الأسرة وبذلك لا يستطيع ممارسة حياته بشكل طبيعي.

وترى هدى قناوي (١٩٨٣ : ٨٤) أن التسلط والقسوة ممكن أن يخرجنا لنا نوعين من الشخصية إما شخصية ضعيفة ليس لها قدرة على المواجهة وخائفة دائماً وغير واثقة في نفسها، أو شخصية متمردة تحاول الخروج عن السلوكيات الصحيحة للتنفيس عما تتعرض له. ويرى علاء كفاي (١٩٩٠ : ١٤٦) أنه في بعض الأسر تكون أدوار الفاعل والمفعول بها متميزة بوضوح، ولكنها غير تبادلية بمعنى، أن الشخص الذي يقوم بدور الفاعل يظل يمارس سلوك هذا الدور، وكذلك الشخص الذي يقوم بدور المفعول به. ولا يسمح - خاصة - لصاحب دور المفعول به أن يكون فاعلاً أبداً، لأن الشخص الفاعل يمنعه من ذلك.

وعادة يقوم أحد الوالدين بدور الفاعل بينما يقوم المراهق بدور المفعول به، وعلى ذلك المراهق بذل كل جهده ليؤدي ذلك الدور بنجاح ليظل المدلل النموذجي لدى أبويه، وحتى في حدود ذلك الدور المنوط به فإنه ينتظر الأوامر لينفذ ما يطلب منه وهنا يظل ذلك المراهق غير قادر على المبادرة أو المبادأة، وإذا تحول ذلك الطفل عن دور المطيع، ومنه إلى دور الفاعل فإن العلاقة بينه وبين والده تتوتر وتنعكس إلى صورة من التجاهل، والإنكار وهنا يُهمل سلوك المراهق الحقيقي ويعامل ذلك المراهق وكأنه لم يرتكب أي أخطاء.

### اتخاذ كبش الفداء: Scapegoating

ويعني اتخاذ كبش الفداء إلقاء المسؤولية على الآخرين.

ويرى جابر عبد الحميد، علاء كفاقي (١٩٩٩ : ٣٧٦) أن عملية اتخاذ كبش الفداء هي عملية تفاعلية في المناخ الأسري المضطرب وهي "العملية التي يزاح فيها الغضب والعدوان على شخص ما أو موضوع ما عادة ما يكون أضعف أو أقل نفوذاً، ولا يكون مسئولاً عن إحباط الفرد" ويمكن المصدر الحقيقي للإحباط عند شخص ما في أوجه مالا يستطيع الفرد أن يواجهها مباشرة، أو تتعلق بأوجه القصور أو الضعف السيكولوجية عند الشخص الغاضب أو الشخص العدواني، وفي هذه الحالة الأخيرة ينشط ميكانيزم الإسقاط الدفاعي.

ويذكر علاء الدين كفاقي (١٩٩٩ : ١٥٦) أن التفرقة بين الأبناء وتفضل أحدهما على الآخر لأسباب غير منطقية ظاهرة قديمة وموجودة منذ فجر التاريخ، ولنا في قصة سيدنا "يوسف" عليه السلام نموذجاً يوضح حقد وكرهية أخوة سيدنا يوسف عليه السلام لتفضيل سيدنا يعقوب (أبوه) له ويقول الله عز وجل "اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده صالحين" صدق الله العظيم [سورة يوسف، الآية: ٩] وفي الحالتين يخسر الأبناء فكل من المفضل والمفضل عليه لا يستطيع أن يتوازن نفسياً وذلك لأن التميز يجعل المراهق مفرط الأنانية ويحاول تحقيق طموحاته حتى إذا كان ذلك على حساب الآخرين، والمفضل عليه عاجز عن المثابرة والكفاح، فالحاقدون يصرفون جهدهم للكيد لمن هو أفضل منهم. وكبش الفداء هو "الشخص الذي تحمله الأسرة كل الأخطاء التي تحدث في الأسرة حتى يتوازن النسق الأسري وهو يعرف بدوره أنه كبش فداء"، واختيار كبش الفداء في الأسرة يتم بشكل لا شعوري غالباً لكن ذلك يعتمد على بعض الخصائص والمميزات لدى الطفل تجعله مميز عن باقي إخوته.

ويرى محمد بيومي (٢٠٠٠ : ١٧٥) أن الضحية لا يكون فقط كبش الفداء ولكن الضحية هو الشخص المفضل، وذلك لأن المراهق يشعر بأنه متميز وقد كسرت كل القواعد من أجله، وهو ما تريد لديه اللامبالاة، وعدم الاهتمام بالقواعد الاجتماعية أو الأخلاقية.

وترى الباحثة أنه إذا تم التعامل مع المراهق في بداية مرحلة المراهقة بعكس هذه العمليات اللاسوية الموجودة في المناخ الأسري غير السوي، التي تحتوي على "اللائسنة"، الحب المصطنع، الأسرة المدمجة، المناخ الوجداني غير السوي، جمود الأدوار في الأسرة، اتخاذ كبش الفداء" فسوف تكون القيم الراسخة والمبادئ القوية من أهم صفات ذلك المراهق، حيث أنه في بداية مرحلة المراهقة يحتاج إلى الكثير من العطاء والوعي، وبذل الجهد من الأسرة حتى يقوى لديه الإحساس بالمسؤولية تجاه نفسه، وأسرته، ومجتمعه، وتكمن المشكلة في عدم اكتراث كثير من الأسر تجاه أبنائهم ومشكلات أبنائهم من المراهقين، وينتج عن ذلك

الإهمال وعدم الاكتراث ضياع للعديد من الأبناء الذين كانوا يحتاجون لوعي أكبر من آبائهم حين التعامل معهم.

ولا يزال السؤال يطرح نفسه ... كيف يتم تفادي تلك العمليات اللاسوية التي تحدث داخل المناخ الأسري لكي تحوله من مناخ أسري غير سوي إلى مناخ أسري سوي؟! وتحاول الباحثة الإجابة على هذا التساؤل الذي يطرح نفسه بالتعقيب على تلك العمليات اللاسوية التي تحدث داخل المناخ الأسري غير السوي:

**أولاً:** "اللائسنة" وتتلخص في معاملة الأسرة لأبنائها على أنهم أشياء وهنا يمكن أن تتفادى الأسرة "اللائسنة" من خلال وعي الأم وإدراك الأب من " أن الأبناء ليسوا أدوات يصلون بها لأهدافهم حتى وإن كانت أهدافاً شرعية " كالدراسة، وغيره .... الخ" وإن الطفل عبارة عن " إنسان صغير"، وليس أنه " شيء صغير" وإذا أدركت الأم، وأدرك الأب الدور الفعال الذي يقومون به تجاه أبنائهم سوف تمر الفترات الحرجة في حياة المراهق على خير.

**ثانياً:** "الحب المصطنع" ويبدأ من حيث التقاء الشريكين لكي يتم الاتفاق على الزواج، ونظراً لاحتياج كل طرف إلى الآخر فيتم تقديم كل التنازلات لكي يتم ذلك الارتباط، وينتج عن هذه التنازلات الاستمرار في علاقة زوجية باختيار الشريكين دون رغبة كل منهما في الآخر وتكون المحصلة الطبيعية لهذا الزواج هو "الطفل" الذي لا ذنب له في أن يدفع ثمن أخطاء والديه من هذا الحب الزائف، بل أيضاً يمتد هذا الزيف إلى التعامل مع هذا الطفل بنفس الزيف حتى أن يتعلم ألا يكون صادقاً مع نفسه ويتطلب ذلك منه الطاعة الدائمة دون نقاش وهنا تكمن المشكلة التي من الممكن تفاديها منذ البداية ولتفادي ذلك الزيف لابد أن يفكر كل طرف قبل اختياره لشريكه في الحياة حتى لا يدفع ثمن ذلك الاختيار الخاطئ أطفال لا ذنب لهم، سوى أنهم ينتمون إلى هذه الأسرة المضطربة دون اختيار منهم.

**ثالثاً:** الأسرة المدمجة: وهي "على العكس تماماً من الأسرة التي بها حب مصطنع حيث إن كل فرد من أفراد هذه الأسرة يتبنى اتجاهات تملكياً تعلقياً بالآخر وفيه لا يستطيع الزوج والزوجة التفكير دونهما أو أن يكون لكل منهما رأي يتناقش فيه مع الآخر ويحدث أن تنتقل هذه الظاهرة غير السوية إلى أحد الأبناء، بأن يتعلق بأمه أو أبيه ويتكون هنا نسق منغلق لا يسمح بالنمو لأبنائه أو الاستقلال عن ذلك النسق حين النضج وينتج عن ذلك الاعتمادية، وعدم التوافق مع الوسط الاجتماعي المحيط".

وهنا يكون من الطبيعي أن يتم البعد عن كل مكان به أشخاص مختلفين بعيدين عن ذلك النسق المنغلق، ولهذا لا بد من النقاش الهادئ المناسب في الأوقات المناسبة والمناسب

لأعمار هؤلاء الأبناء وإشراكهم في الرأي وأخذ مشورتهم في أغلب الأحيان حتى ينتقل إليهم الإحساس بالمسئولية تجاه كل ما يحدث في واقع هذه الأسرة.

**رابعاً:** "المناخ الوجداني غير السوي" وفي هذا المناخ تكمن خطورة بعض من العمليات اللاسوية التي تحدث في المناخ الأسري المضطرب حيث إن ذلك المناخ الوجداني المضطرب يبدو عليه نوع من الهدوء والثبات الزائف الذي سرعان ما ينقلب إلى مشكلة كبيرة، وينتهي ذلك الهدوء بداية المشكلة وتحدث هذه المشكلة لأتفه الأسباب، وهنا يظهر الزيف في علاقات هذه الأسرة وهذا المناخ يكون منجباً للأمراض النفسية، ويكون واقعاً مميتاً يشوه طفولة الأبناء.

وترى الباحثة أن الحلول لهذه المشكلات تستند إلى العديد من الاتجاهات النفسية لهذا المناخ والمقصود به أن يتواصل أفراد ذلك المناخ بشكل سوى، وأن يتبادل أفراد الآراء والحوارات المختلفة، وأن يجمع بين أفراد مجالات اجتماعية وزيارات متعددة لأقارب أو أصدقاء أفراد ذلك المناخ لكي ينكسر ذلك الحاجز المميت داخل هذه الأسرة المحبطة.

**خامساً:** "جمود الأدوار في الأسرة" وفي هذه العملية غير السوية يتم تقييد نمو وحركة المراهق، حيث إنه في نمو دائم، وتفاعل مع كل الأشياء المحيطة به، وهذا يعني أن أي أوامر صادرة من الأبوين، أو من الأخوة الأكبر لذلك المراهق سوف تجعله يحس بانعدام الحرية في اتخاذ القرارات، وأن كل تصرفاته، وقراراته، وأحلامه، وطموحاته، لن تتم إلا في نطاق ضيق يسمح به من يكبره في الأسرة ويكون الحل الوحيد أمام ذلك المراهق هو الطاعة والاستسلام وقتل أحلامه ومن وجهه نظر الباحثة يكون الحل لهذه المشكلة أن تتفهم الأسرة دورها الفعال في التعامل مع الطفل، حيث أن له لغة معينة يتقبل بها كل النصائح الملقاة على سمعه، وليس لغة "إصدار الأوامر" بل "النصائح" وكيفية التوصيل له بكل الحب والخوف والقلق عليه لشخصه، وليس لمجرد محاولة الوالدين في أن يكون المراهق صورة طبق الأصل مما يريدونه أن يكون.

**سادساً:** "اتخاذ كبش الفداء" ولهذه العملية اتجاهان "اتجاه إسقاطي" واتجاه "تفضيلي" والإسقاطي هنا يعني أنه يتم إسقاط مشكلة ما على شخص أضعف من الذي تعرض للموقف أو المشكلة والتعامل معه على أنه لا بد وأن يتحمل ما ليس له دخل به، والاتجاه الآخر هو "التفضيل" وهنا يحدث إنه حينما يفضل الأبوان أو أحدهما طفلاً على طفل آخر من نفس الأسرة، ويتم ذلك على عدم وعي أحياناً وأحياناً أخرى يكون بوعي تام فيميل أحد الأبوين أو كلاهما لطفلهما المميز بشيء من صفاته، أو ملامحه أكثر من ميلهم لأخيه، فيشمل الضرر المفضل، والمفضل عليه حيث يتأذى الاثنان بشكل نفسي، وأحياناً ينمو ذلك التأذي مع

المراهق وحينها تتحول هذه المشكلة إلى الكراهية وتحدث عقدة نفسية بين الأخوين، كما حدث مع سيدنا يوسف ولد سيدنا يعقوب، عليهما السلام "حينما أراد أخوته به شراً لكي يأخذوا مكانه المدلل عند أبيهم"، وهنا لابد أن تنتبه كل أسرة للتساوي بين الأبناء في كل شيء في " منح الهدايا، وفي العطاءات المتعددة مثل أن يكون العطاء في: الحب، المشاعر، العقاب، النصائح، الابتسامة، النقاش، ..... الخ". وذلك لكي يتحدد لكل ملامحه النفسية منذ الصغر، وينتج عن ذلك التحديد للملامح النفسية أن يتحول كل أفراد الأسرة إلى محبين لبعضهم البعض بالتالي يكون للأسرة أدوارها الفعالة الإيجابية المنتجة لمراهقين أصحاء نفسياً وأسرياً. وفي ضوء ما تم استعراضه لمفهوم المناخ الأسري غير السوي "المضطرب" ترى الباحثة أنه:

"مناخ يصنع أشخاصاً ضعفاء يتسمون باللاسواء، ويسيطر عليهم نوع من عدم الاتزان الانفعالي والخوف، والقلق الذي يؤدي بهم إلى الاضطراب والتوتر أثناء اختلاطهم بالآخرين من الأسوياء من الأشخاص المحيطين بهم، وينتج عن ذلك التوتر والاضطراب سلوكيات وردود أفعال غير متوقعة منهم تجاه الوسط المحيط، مما يسبب خللاً في العلاقات الاجتماعية بين أفراد ذلك المناخ غير السوي، وبين الأشخاص المتعاملين معهم من الأسوياء أو العاديين وهذا الخلل غير المقصود من الأشخاص المضطربين أسرياً يجعلهم سرعان ما يعودون إلى مناخهم غير السوي الذي يحتضن لا سوائهم الاجتماعي، والشخصي حتى لا يصابوا بمشكلات أثناء مواجهتهم مع الأشخاص المتمتعين بالسواء الأسري والشخصي والاجتماعي".

#### رابعاً: المراهقة: Adolescence

يرى مصطفى غالب (١٩٨٢ : ٢٨-٢٩) أن مرحلة المراهقة هي " منعطف خطير في حياة الإنسان، وهي التي تؤثر على مدار حياته وسلوكه الاجتماعي والخلقي والنفسي، وأن المراهقة مرحلة عنيفة في الناحية الانفعالية، حيث تختلج نفس المراهق ثورات تمتاز بالعنف والاندفاع، كما تساوره من وقت لآخر أحاسيس بالضيق، والتبرم والزهد، ولقد اختلف العلماء في تفسير بواعث هذه الاضطرابات الانفعالية التي تسود حياة المراهق، فهناك من يربطها إلى ما يطرأ من تغيرات على إفرازات الغدد، وهناك من يربطها إلى العوامل البيئية التي تحيط بالمراهق.

كما ترى هدى قناوي (١٩٩٢ : ٣) أن الفرد يمر في حياته بمراحل نمائية متعددة، ومن الثابت علمياً أن كل مرحلة من هذه المراحل تتأثر بما قبلها، وتمهد لما بعدها - أي أن النمو عملية متصلة ومستمرة، فالفرد يصل إلى الحياة ولديه قوى وإمكانات الحياة، والنماء، التي تستثيرها بينته فيستجيب لها بشكل، أو بآخر ليصل إلى مرحلة النضج Maturation . والنمو في جوانبه المتعددة سواء كانت بيولوجية أو معرفية أو اجتماعية لا يقف عند مرحلة المراهقة، بل يستمر النمو في هذه المرحلة لينتقل الكائن البشري من مرحلة طفولته، إلى مرحلة رشده ماراً بمرحلة المراهقة التي تأخذ شكلاً متميزاً، ومميزاً لها في جوانب النمو المختلفة، وعلى هذا فإن مرحلة المراهقة هي مرحلة الانتقال إلى الرشد Transition to Adulthood.

ويصف إبراهيم عيد (٢٠٠٥ : ١٤٧) مرحلة المراهقة بأنها " ذروة الوجود الحقيقي للشخصية والتي تقع ما بين (١٢ - ١٨ سنة) وهي مرحلة أزمة " أزمة الهوية" تمضي بالشخص كمحصلة دينامية للصراعات التي عاشها المراهق، وهو صغير إلى شعور بالهوية أو إلى " عدم تعيين الهوية"، حيث الشعور بالاعتراب، وذوبان المراهق في الآخرين، وعدم قدرته على اكتشاف موقع في صميم الواقع، والعيش نهماً لمشاعر الإثم والقلق، وفقدان الثقة وما إلى ذلك".

ويذكر سيد محمود (١٩٩٣ : ٢١٩-٢٢٠) أن المراهقة هي "المرحلة التي تسبق الرشد، وتصل بالفرد إلى اكتمال النضج، فهي تبدأ من البلوغ، حتى سن الرشد في (٢١ سنة) تقريباً فالمراهقة هي المرحلة النمائية أو الطور الذي ينمو فيه الناشئ، وهو الفرد غير الناضج جسماً، وعقلياً، واجتماعياً، نحو بدء النضج الجسمي والعقلي، والاجتماعي.

ويذكر أحمد زكي صالح (١٩٧٢: ١٩٣) أنه من السهل تحديد بداية فترة المراهقة، ولكن من الصعب تحديد نهايتها، فالبداية تتحدد بالبلوغ الجنسي للفتى، أو الفتاة، أما نهاية المرحلة فتتحدد بوصول الفرد إلى اكتمال النضج في مظاهر النمو المختلفة.

ويرى مجدي الدسوقي (٢٠٠٣ : ١٤٥) أن المراهقة هي " مرحلة الولادة الجديدة من الناحية النفسية، والتي تبدأ من سن (١٢ - ٢٠ سنة) في المتوسط، ويحدث فيها العديد من التغيرات البيولوجية والاجتماعية والنفسية، كما تعتبر المراهقة من أدق وأهم المراحل التي يمر بها الأبناء، والتي تؤثر في مستقبل حياتهم، لذلك يعتبرها علماء النفس ميلاداً ثانياً للشخصية الإنسانية، ويمر المراهق أثناء هذه الفترة بعدد من الأزمات، فهناك أزمة " محاولة إثبات الذات"، التي تأخذ كثيراً من المظاهر مثل: تقليد الكبار، أو الإتيان بسلوك مغاير لما يقومون به، وهناك أزمة "إشباع الدافع الجنسي"، وأزمة "العلاقة مع الكبار"، وأيضاً أزمة "القلق المستمر على الحاضر والمستقبل"

ويرى إبراهيم قشقوش (١٩٨٩ : ٥) أن مرحلة المراهقة "مرحلة ذات طبيعة بيولوجية، واجتماعية على السواء، إذ تتميز بدايتها بحدوث تغيرات بيولوجية عند الأولاد والبنات، ويتواكب مع هذه التغيرات وتصاحبها تضمينات اجتماعية معينة، وهي من الوجهة الزمنية تضم الأفراد، الذين تقع أعمارهم الزمنية في الفترة من (١٢ - ٢٠ سنة)، ومن الوجهة النفسية تضم الأفراد الذين أنهوا أو اجتازوا مرحلة الطفولة، بينما هي تضم من وجهة نظر علم الاجتماع أولئك الأفراد الذين يحاولون اجتياز الفجوة بين مرحلتين، هما: "مرحلة الطفولة" وهي مرحلة يعد الاعتماد على الآخرين من أبرز ملامحها، و"مرحلة الرشد" وهي مرحلة يتمثل "الاستقلال والقدرة على اتخاذ القرارات، وتحمل المسؤولية من أبرز خواصها.

ويذكر فايز مراد (٢٠٠٣ : ١٧٦) أن مرحلة الطفولة هي " هدوء نسبي يعتري الطفل في نموه اللاشعوري إبان مرحلة الطفولة المتأخرة (فترة كمون تهدأ فيها القوى العدوانية التي كانت تسود حياة الطفل اللاشعورية)، ويحل محلها فترة هدوء واستقرار نسبيين، وتكون فترة الكمون هنا بمثابة فترة إعداد لفترة عنيفة تالية هي فترة المراهقة.

كما يرى عادل عز الدين الأشول (١٩٩٨ : ٤٦) أن مرحلة المراهقة تكون من (١٢ - ٢٠ سنة)، ويرى أنها مرحلة البلوغ الجنسي، ويكتشف الأطفال في الفترة المبكرة من هذه المرحلة -مع مراعاة ما بينهم من الفروق الفردية- الكثير من الخصائص الجسمية التي تنبئ بنضج الوظائف الجنسية، وفي هذه المرحلة يبلغ التنظيم الوظيفي للمخ Brain Functional Anisation الحد الأقصى لنموه وتطوره، وتزول الغدة التيموسية Thymus، وتبدأ الغدة التناسلية في العمل، كما تأخذ الوظائف الجسمية في النضوج نحو الذكورة أو الأنوثة.

ويرى صلاح عمرية (٢٠٠٥ : ٧٧-٧٨) أن فترة المراهقة تقابل مرحلتى التعليم "الإعدادية، والثانوية" وجانباً من "المرحلة العالية، والجامعية"، ويذكر أن بعض علماء النفس يميلون إلى تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين يتعجل النمو الجسمي سيره في أولاهما، ويبطئ في الثانية، أو على ثلاث مراحل مبكرة، ومتوسطة، ومتأخرة، أو إلى مراحل تقابل المراحل التعليمية المختلفة، وهناك كذلك من يميلون إلى معالجة فترة المراهقة باعتبارها مرحلة واحدة غير منقسمة، يوجد بين أجزائها طابع الانتقال إلى "الرجولة أو الأنوثة الكاملة"، بما يميز هذه الأنوثة أو الرجولة من مسؤوليات وأعباء وتكامل لوظائف الأعضاء، وينظر أصحاب هذا الرأي إلى المراهق على أنه "شخص يسير نحو الرجولة، فينشغل بادئاً باستكمال نواحيها الجسمية وينشغل متأخراً بعض الشيء - باستكمال نواحيها الخلقية، والفكرية والاجتماعية، مع اختلاف درجة التركيز على النواحي الأولى أو الأخيرة خلال سنوات المراهقة.

ويذكر أحمد زكي صالح (١٩٧٢) إن مرحلة المراهقة هي مرحلة دقيقة فاصلة من الناحية الاجتماعية إذ يتعلم فيها الناشئون تحمل المسؤوليات الاجتماعية وواجباتهم كمواطنين في المجتمع، كما أنهم يكونون أفكارهم عن الزواج والحياة الأسرية وبالأزواج يكتمل جزء كبير من دورة النمو النفسي العام حيث ينشأ منزل جديد وتتكون أسرة جديدة ومن ثم يولد طفل، وبالتالي تبدأ دورة جديدة لحياة شخص آخر تسير من المهد إلى الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد.. وهكذا تستمر الدورة في الوجود ويستمر الإنسان في الحياة.

(حامد زهران، ٢٠٠١: ٣٢٩)

ويقول صلاح مخيمر (١٩٦٩) إن المراهقة هي الميلاد النفسي وهي الميلاد الوجودي للعالم الجنسي، وهي الميلاد الحقيقي للفرد كذات فردية، وهي مزاج من شيء في سبيله إلى الخلع والانتهاه هو الطفولة، ونقيض في سبيله إلى الارتداء والنماء هو الرشد.

والمراهق في مرحلته الانتقالية هذه يتحدى طفولته وهو في ثقة مطلقة بالذات ويثور على عالم الكبار محاولاً تجريد الراشدين وآرائهم من كل ثقة فيرفع الاستقلالية المسرفة في وجه التبعية والتسلطية ليصل إلى تبعية متبادلة. والبلوغ في نظرة تدفق لمدد هائل من الطاقة الجنسية الغامرة التي تصبغ العالم بالجنسية، ومن ثم فهو صدمة تحطم الاتزان النفسي. وينشأ عصاب صدمي يبرز عدة أعراض انفعالية مثل سرعة القابلية للتهيج، ونوبات الغضب، وسرعة القابلية للتعب دون جهد يذكر، ونقص القدرة على تركيز الانتباه والجهد، ونوبات القلق، وأحلام اليقظة، ويحاول المراهق إقامة الاتزان النفسي من جديد مجرباً كل الإمكانيات وكافة الحلول ويناوب الدفاع والإشباع فيمر بمرحلة من التوافق الكاركتيري المتخبط بين السطحية والضحالة والضدية ويقف عند البطولة الرجولية والخلاعة الانثوية.

(حامد زهران، ٢٠٠١: ٣٢٧)

وتعني المراهقة "الانتقال من الطفولة إلى الرشد"، والمصطلح في اللغة العربية مصدر لفعل (راهق) وراهق الغلام فهو (مراهق) أي قارب الحلم. كما تعني "المقاربة فراهقته أي

أدركته، وأرهقته تعني دانيتها ، ورهقت الصلاة تعني دخل وقتها ،فراهم الشيء أي قاربه ، وراهق البلوغ أي قارب سن البلوغ ، وراهق الغلام أي قارب الحلم ، وصبى مراهق معناها دان الحلم ، والحلم هو القدرة علي إنجاب النسل .

(الزمخشري، ١٩٧٢: ٣٣٠)

وتري هدي قناوي (١٩٩٢ : ٣) أن مصطلح "المراهق" مشتق من الفعل اللاتيني Adoles ومعناه التدرج للنضج البدني، والجنسي والانفعالي والعقلي ،ويستخدم علماء النفس المصطلح للإشارة للنمو النفسي والتغيرات التي تحدث في فترة الانتقال من الطفولة للرشد.

والمراهقة لغوياً تعني " الفترة من بلوغ الحلم إلى بلوغ سن الرشد (المعجم الوسيط، ١٩٧٢، ج١، ص ٣٧٨) كما أن المراهقة فترة من فترات نمو الفرد، وتمهد الوصول إلى النضج بطريقة شرعية أو قانونية، وهي تبدأ من (١٢ سنة) عند البنات، (١٤ سنة) عند البنين، وتمتد حتى (٢١ سنة) عضوياً إلى حوالي (٢٥ سنة) عند البنين، (٢١ سنة) عند البنات والاستخدام العام يجعل المراهقة تشير إلى الوقت الذي بين بداية البلوغ، والنضج.

(Dictionary of Philosophy and Psychology, 1928: 17-18)

ويرى علاء كفاي (١٩٩٧ : ٤١٤) أن المراهقة " هي المرحلة التي يعبرها الطفل كي ينتقل من مرحلة الطفولة إلى الرشد ليصير راشداً ناضجاً سواء كان رجلاً أم امرأة وتمتد هذه المرحلة طوال العقد الثاني - تقريباً - من عمر الفرد فهي تبدأ بحدوث البلوغ وتنتهي بالوصول إلى الرشد".

كما يصف صلاح مخيمر (١٩٨٦ : ٨) المراهقة بأنها " ميلاد للكائن البشري، ميلاده النفسي والجسمي؛ كذات فريدة تعي لأول مرة وجودها المليء في عالم اكتملت له أبعاده، والمراهقة ليست لها وقت محدد، أو لحظات بعينها، ولكنها عملية مفتوحة ينتقل فيها المراهق من محاولة تأكيد ذاته بالأسلوب السالب - عن طريق التناقض مع الآخرين إلى الأسلوب الموجب الذي يعبر عن الإمكانيات الحقيقية الداخلية للفرد".

ويذكر جابر عبد الحميد، وعلاء الدين كفاي (١٩٨٨ : ٧٢) أن المراهقة في معجم علم النفس والطب النفسي تعني "فترة التحول من الطفولة بما تتميز من اعتمادية وعدم نضج إلى درجة اكبر نضجاً وإلى الاستقلالية في الرشد"، وتبدأ مرحلة المراهقة بالبلوغ الجنسي وبالنسبة للبنين تراوح هذه الفترة بين العام (الثالث عشر والثاني والعشرون) تقريباً.

أما بالنسبة للبنات فهي تتراوح ما بين العام (الثاني عشر، العام الواحد والعشرون) تقريباً. وفي خلال هذه الفترة تحدث تغيرات كبيرة، وأحياناً ما تكون مسببة للاضطراب بدرجات متفاوتة في الخصائص الجنسية، وصورة الجسم، والاهتمام الجنسي، والأدوار الاجتماعية، والنمو العقلي، ومفهوم الذات.

ويرى ميخائيل إبراهيم أسعد (١٩٨٢ : ٢٣١) أن المراهقة هي "مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الشباب ،وتتسم بأنها فترة معقدة من التحول والنمو تحدث بينها تغيرات عضوية ونفسية وذهنية واضحة تقلب الطفل الصغير عضوا في مجتمع الراشدين "كما ذكر أن مرحلة المراهقة هي مرحلة "تأهب لمرحلة الرشد، وتمتد في العقد الثاني من حياة الفرد من (الثالثة عشر إلى التاسعة عشر ) تقريبا أو قبل ذلك (بعام أو عامين )أو بعد ذلك (بعام أو عامين ) أي بين (١١سنة) و (٢١ سنة ).كما أشار إلي أن المراهقة تسمى بالمراهقة العشارية ، ويعرف المراهقون بالعشاريين نسبة إلي عقود الأرقام بين "عشر سنين"، "وعشرين سنة" وقسم المراهقة إلي ثلاثة مراحل:

(١) المراهقة المبكرة وتمتد ما بين سن (١١-١٤ سنة ).

(٢) المراهقة المتوسطة وتمتد ما بين سن (١٤-١٨ سنة).

(٣) المراهقة المتأخرة وتمتد ما بين سن (١٨-٢١ سنة )

ويرى كوهلبرج Kohlberg (١٩٦٦) أن مرحلة المراهقة هي "تلك المرحلة العمرية التي تمتد من عمر (١٢-١٨ سنة) وما يصاحبها من تغيرات نفسية وانفعالية وجسدية تعبر عن اكتساب الفرد للقيم والاتجاهات والمعتقدات السائدة في مجتمعه وقدرته على النهوض بها. (Dowing & Iram 1982 : 110)

ويعني مصطلح المراهقة كما يستخدم في علم النفس "مرحلة الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والرشد، فالمراهقة مرحلة تأهب لمرحلة الرشد، وتمتد في العقد الثاني من حياة الفرد من الثالثة عشرة إلى التاسعة عشرة تقريبا أو قبل ذلك بعام أو عامين، أو بعد ذلك بعام أو عامين (أي بين ١١-٢١ سنة). ولذلك تعرف المراهقة أحيانا باسم The Ten Years، ويعرف المراهقون أحيانا باسم Teen-Agers.

(حامد زهران، ٢٠٠١ : ٣٢٣)

ويذكر مجدي الدسوقي (٢٠٠٣ : ١٤٧) أنه يوجد نوع من التداخل بين مصطلح المراهقة، ومصطلح البلوغ، ومصطلح الشباب، فكلمة مراهقة Adolescence، مشتقة من الفعل اللاتيني Adolescere ومعناه التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، والمراهق لغوياً يعني الغلام الذي قارب الحلم، معنى ذلك أن المراهقة تعني "التغيرات المتميزة - الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية - التي تتم في العقد الثاني من العمر" ومن السهل تحديد بداية مرحلة المراهقة، ولكن من الصعب تحديد نهايتها، ويرجع ذلك إلى أن بداية المراهقة تتحدد بالبلوغ الجنسي، بينما تتحدد نهايتها بالوصول إلى النضج في مظاهر النمو المختلفة، وعموماً يتوقف طول مرحلة المراهقة أو قصرها على الإطار الاجتماعي والإطار الثقافي، والبيئة الجغرافية والظروف النفسية التي يعيشها الفرد. أما البلوغ Puberty / Pubescence فيعني الجانب

العضوي للمراهقة من حيث نضج الوظيفية الجنسية، ويحدد علماء علم النفس الفسيولوجي البلوغ بأنه مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجي التي تسبق المراهقة، وتحدد نشأتها وفيها يتحول الفرد من كائن لا جنسي إلى كائن جنسي، ومعنى ذلك إنه يمكن تعريف البلوغ بأنه "نضج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة".

ولقد صور ستانلي هول "Hall" مرحلة المراهقة بأنها "مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد"، وإنها : مرحلة تتصف بالعواصف والتوتر حيث الصراع بين الأنانية، والمثالية، والحب والكراهية، واعتبرها فترة ميلاد جديدة، واعتبر هذه العواصف والضغط عامة في الجنس البشري، وهو بذلك يتجاهل دور المؤثرات الثقافية والاجتماعية في النمو نظراً لأنه يرى أن الإنسان يرث خصائصه، وصفاته المكتسبة كما يرث خصائصه البيولوجية، وارتبط مفهوم هول عن مرحلة المراهقة بمفهومه عن التتابع التطوري لنظرية دارون لأصل الأنواع Origin of species (١٨٥٩) أي أن التاريخ الاختياري للأنواع يصبح جزءاً من التكوين الوراثي للتركيب العضوي للفرد، ولذلك فهو ينتقل من جيل إلى الجيل التالي، وعلى ذلك فإن التركيب العضوي للفرد يعكس نمو الأنواع. ويصور "هول" فترة المراهقة بنفس الطريقة أي أنها مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد تناظر وتقابل فترة الاضطراب Turbulent time التي مر بها الإنسان قبل أن يعمل ويرتقي بنفسه إلى صور وأشكال المجتمعات المتحضرة لأنها تشبه المرحلة التي حاولت المجتمعات الإنسانية أن تنتقل فيها من البدائية إلى التحضر، وما تميزت به هذه المرحلة من تردد وانتكاس ونضال مرير.

ويؤخذ عن "هول" مصطلح العواصف والتوتر Storm and stress حيث استعمله لما تتميز به فترة المراهقة من تعارض وتصارع لدى المراهق بين الأنانية والمثالية، القسوة والرقّة، العصيان والحب.

وقد سقطت نظرية "هول" فيما بعد بفضل انتشار رفض التسليم بصحة الاعتقاد الخاص بوراثة الخصائص والصفات المكتسبة، (حيث تشير هذه النظرية إلى أن الفرد يرث الخصائص البيولوجية الخاصة بالجنس البشري إذ أنها تدخل في تركيب الموروثات).

كما أن "هول" لم يوضح دور التأثيرات الثقافية على النمو، ويرجع ذلك في نظره إلى أن التركيب العضوي يخضع لسيطرة عوامل وراثية، وقد افترض أن النضج يحدث مهما كان الوضع الاجتماعي أو الثقافي.

وتوجد أدلة حديثة ظهرت بعد ذلك (كما يرى وليام ج ماير وآخرون) تؤكد عكس نظرية "هول" للمراهقة حيث يرون أن المراهقة ليست فترة عاصفة مليئة بالضغط، والدليل على ذلك أن نسبة الذكاء تظل ثابتة نسبياً، كما أنه ليس هناك دليل قوي على التغيرات السريعة في

الشخصية أو العلاقات الاجتماعية، وإن كانت بعض التغيرات تحدث فعلاً إلا إنها بطيئة وتتمثل استمرارية النمو، وإذا كان بعض المراهقين قد يمرون بفترات عاصفة مليئة بالضغط، فإن معظمهم قد لا يتعرضون لهذه الضغوط.

(هدى قناوي، ١٩٩٢: ١٥-١٧)

ومن المعروف أن فترة المراهقة لا تعد من الفترات السعيدة في حياة الإنسان فهي فترة عدم الاستقرار، وعدم التأكد، والشك في الذات، والمعاناة، والآلام، والاهتمامات والانشغالات الخاصة، والصراعات الاجتماعية، وعدم الاتفاق والتناقض العاطفي.

(كاميليا عبد الفتاح، ١٩٨٠: ٢٥)

ويرجع إبراهيم كاظم (١٩٨٨ : ٣٣٢) صراعات ومشكلات المراهقة إلى : التغيرات النفسية والعاطفية المواكبة للنمو البدني السريع الذي يعد من أبرز سمات مرحلة المراهقة، حيث تغير المناخ النفسي حول الحدث، ويعيش المراهق حالة من الإثارة والتقلب والغليان والتحيز والحيرة ومن ذلك تنشأ العديد من الصراعات النفسية في المشاعر والأفكار التي تدور في النفس والعقل.

ومن العرض السابق لمفهوم المراهقة ترى الباحثة أن مرحلة المراهقة هي "المرحلة التي تتوسط الطفولة والرشد، وتتسم بأنها فترة عصبية حرجة ومنعطف خطير في حياة الإنسان، وذلك لأنها تتأثر بما قبلها وتؤثر فيما بعدها من فترات سابقة ولاحقة على السواء، فهي مرحلة ذات طبيعة بيولوجية واجتماعية خاصة، كما أنها تعد الميلاد الحقيقي النفسي والاجتماعي للشخصية حيث يتعرف الكائن البشري على قدراته وإمكاناته المتعددة وجوانب شخصيته الخفية حيث تسهم هذه الفترة الحرجة في تشكيلها إذ أنها تبدأ بالبلوغ الجنسي للذكر والأنثى على السواء وتنتهي حيث يتم اكتمال النضج".

#### • المراهقة والمدرسة الثانوية:

يرى حامد زهران (٢٠٠١) أن " المرحلة الثانوية يقابلها مرحلة المراهقة المتوسطة Middle Adolescence وهي تتراوح ما بين (١٥-١٧ سنة) ويؤدي الانتقال من المرحلة الإعدادية إلى المرحلة الثانوية إلى إطراد الشعور بالنضج والاستقلال، والمراهقة الوسطى هي قلب مرحلة المراهقة، وفيها تتضح كل المظاهر المميزة لمرحلة المراهقة بصفة عامة.

ويلحق المراهقون والمراهقات في هذه المرحلة أهمية كبيرة على النمو الجسمي، ويتضح الاهتمام بالمظهر الجسمي، والصحة الجسمية، وتزداد أهمية مفهوم الجسم Body Concept، أو الذات الجسمية Physical Self (وتعتبر عنصراً هاماً في مفهوم الذات) حيث ينظر المراهق إلى جسمه كرمز للذات، ويلاحظ هنا شدة اهتمام المراهق بجسمه والحساسية الشديدة للنقد فيما يتعلق بالتغيرات الجسمية الملحوظة السريعة المتعددة الجوانب،

ويكون المراهق صورة ذهنية للجسم Body – Image (الطول والوزن – ونسب الجسم .... الخ). وتتطلب نوعاً من التوافق وتكوين مفهوم موجب عن الجسم النامي، ويسهم الآخرون في نمو مفهوم الجسم عند المراهق، ويهتم المراهق كثيراً بتعليقاتهم خاصة تلك التي يسمعها من رفاق السن، ومن أفراد الجنس الآخر.

(حامد زهران، ٢٠٠١: ٣٧٠ - ٣٧٢)

وهنا يجب على الوالدين والمربين مراعاة الآتي:

- تجنب التركيز على النمو العقلي للمراهق على حساب نموه الجسمي.
- العمل على استثمار طاقة المراهقين وتحويلها تجاه الأنشطة المتعددة (الرياضية أو الثقافية أو الاجتماعية) داخل وخارج المدرسة.
- العمل على نشر الوعي الثقافي، وتنمية جوانب الضعف عند المراهق وتحويلها من جوانب ضعف إلى جوانب قوة عن طريق توعيته وتثقيفه صحياً وإجتماعياً.
- لابد من مصادقة المراهق من أساتذته، وأبويه لإكسابه قدراً كبيراً من الثقة في النفس وذلك لتشجيعه على الإفصاح عن مشكلاته الذاتية لمن يثق بهم.

#### • مظاهر النمو في المرحلة الثانوية:

- تذكر هدى قناوي (١٩٩٢) أن أكثر التغيرات وضوحاً في المراهقة هي التغيرات الجسمية ، وتعد هذه التغيرات هامة لعدة أسباب:
- إنها تعتبر مؤشراً على البلوغ وما يصاحبه من قدرة على التناسل ويجب أن تطبع هذه القدرة اجتماعياً.
  - إن التغيرات الجسمية التي تحدث أثناء النمو تعتبر مؤشراً على اقتراب النضج
  - تتطلب هذه التغيرات الجسمية تكامل الشكل الظاهري (الهيئة) للفرد مع مفهوم الذات، وقدرتها.

#### التغيرات الجسمية في مرحلة المراهقة:

البلوغ Pubescence اصطلاح عام يشير إلى التغيرات الجسمية في المراهقة، ويعني التغيرات في شكل الجسم على مدى فترة زمنية ممتدة، والبلوغ Puberty يشير إلى النضج الجنسي والقدرة على التناسل ويختلف توقيتها بين الجنسين، على الرغم من أن النمو يأخذ شكل طفرة، وطفرة النمو في المراهقة تشير إلى تسارع معدل الزيادة في الطول والوزن عند مطلع فترة المراهقة ومن الملاحظ أن طفرة البلوغ تبدأ مبكرة لدى البنات عن الأولاد، وترجع هذه التغيرات الجسمية مثل الطول ، الوزن ، وغيرها في فترة المراهقة إلى تغيرات هرمونية وخاصة تلك التي تتحدد فيها الغدة النخامية، فالهرمونات التي تفرزها هذه الغدة تعمل على تحريك الإفراز الهرموني من الغدد الصماء الأخرى مثل الغدد التناسلية التي تحدث نضج

- الصفات الجنسية وهرمونات النمو أو النضج لها ثلاث وظائف .. فهي التي : ١- تسبب التغيرات في الشكل. ٢- كما تعمل على تحديد نمو الأعضاء.
- ٣- وأخيراً تحدد حجم هذه الأعضاء.

(هدى قناوي، ١٩٩٢ : ٥٦-٥٨)

ويرى عادل الأشول (١٩٩٨ : ٥١٦) أن التغيرات الجسمية في فترة المراهقة تعزي عادة إلى حركة الهرمونات وهي المواد الكيميائية المتفردة التي تفرزها الغدد ، فبعض الهرمونات تفرز لأول مرة أثناء فترة المراهقة في حين نجد الأخرى تزيد من كمية إفرازاتها وعمل هذه الهرمونات تبعاً لطرق مختلفة إلا أنها تثير بصورة عامة المستقبلات في واحد أو أكثر من الأعضاء أو الأنسجة.

ويذكر حامد زهران (٢٠٠١ : ٣٩٤) إنه في هذه المرحلة (الثانوية) يتجه النمو الجنسي بسرعة نمو النضج وتكون مظاهره: إنه يزداد نبض قلب المراهق بالحب، وتزداد الانفعالات الجنسية في شدتها، وتكون موجهة عادة نحو الجنس الآخر، ويلاحظ الإكثار من الأحاديث والقراءات والمشاهدات الجنسية والشغف والطرب بالنكت الجنسية. ويزداد التعرض للمثيرات الجنسية، ومن المثيرات الجنسية للمراهق في هذه المرحلة المحادثات الجنسية، والصور الجنسية، والكتابات الجنسية، والأفلام الجنسية، والملامسة للجنس الآخر، وأحلام اليقظة، وهذه يجب تجنبها، وعادة ما يتجه المراهق بسرعة بعاطفته إلى أول من يصادف من الجنس الآخر من الجيرة أو الزملاء أو الأقارب، وفي هذه المرحلة يلاحظ الحب المتعدد، والاهتمام بالجمال، والرغبة في جذب انتباه أفراد الجنس الآخر، والمعاكسة، وحب الاستطلاع الجنسي.

### المظاهر النفسية للنمو الجسمي:

إن التغيرات في النمو الجسمي لها أهمية مزدوجة فهي تؤدي إلى إحساس الفرد بعدم التماسك نظراً لسرعتها في طفرة النمو، بالإضافة إلى عدم تزامن تكاملها، وهذا يتطلب من المراهق إعادة تقييم الذات، وهذا التغير في فترة المراهقة لا يحدث فقط في حالة زيادة الطول والوزن، ولكن أيضاً في التغيرات الأكثر دقة، كالقدرات، والدافع الجنسي، وهذه التغيرات قد تسبب الارتباك للمراهق، لأنها قد تؤثر على علاقته بالآخرين، هذا بالإضافة إلى آثارها المزعجة على مشاعر اتساق الذات، لذلك يحتاج المراهق إلى فترة طويلة حتى يمتص ويدمج هذه التغيرات في هويته أو ذاتيته الفردية البازغة شيئاً فشيئاً، والتي تتصف بالإيجابية والثقة بالذات. ثانياً: إن هذه التغيرات الجسمية يمكن أيضاً أن يكون لها التأثير الطويل الأمد على نمو شخصية الفرد حيث أن تفاعلات الآخرين وخاصة الوالدين والأقران نحو الفرد تصبح حاسمة في الربط بين النضج المبكر والنضج المتأخر وشخصية الفرد.

(هدى قناوي، ١٩٩٢: ٥٩-٦٠)

ويذكر عبد المجيد سيد، وآخرون (٢٠٠١) أن المرحلة الثانوية (١٥-١٨ سنة) يتم فيها اكتمال النضج لدى المراهق وتتشكل وتنمو شخصيته وفقاً لنوع المعاملات، والعلاقات التي ينشأ من خلالها في المنزل، والمدرسة والحياة الاجتماعية بوجه عام، ممثلة في الجوار، والأقارب والبيئة الاجتماعية، وتتلخص خصائص ومظاهر النمو في المرحلة الثانوية في الآتي:

#### ١- التغيرات الانفعالية والمزاجية:

حيث تتصف انفعالات المراهق بالتقلب السريع من موقف لآخر، حيث يبدأ الاستقرار أحياناً، والهدوء أحياناً أخرى، وبلا مقدمات، ويعقب ذلك عدم الاستقرار والثورة، ثم الارتياح والرضا والسرور، وهكذا .... الخ.

#### ٢- العلاقات الاجتماعية:

حيث يجتمع المراهق بالآخرين، ويندمج في وسط الجماعة، ويشارك بفاعلية داخل إطار الجماعة، وفجأة يتحول إلى عزلة وانطواء، وابتعاد عن الوسط الجماعي، وعدم المشاركة الإيجابية.

#### ٣- التغيرات الجسمية:

يمر المراهق بتغيرات جسمية كثيرة تطرأ على أعضاء جسمه، فتكتمل الأعضاء الجسمية ويبدو في مظهره كالرجال، ولذلك تظهر أنماط سلوكية مختلفة عن ذي قبل، تتمثل في الميل إلى الاستقلال والتحرر من السلطة، سواء أكانت سلطة الوالدين أم سلطة الآخرين عامة.

#### ٤- الاستقلالية:

وتظهر في التمسك برأي المراهق تمسكاً شديداً يصعب عليه الحياد عنه مهما أقتعه الآباء أو المعلمين بفكرة أو برأي آخر بديل، وتمثل هذه المرحلة العمرية مرحلة " الفطام النفسي والاجتماعي" والتحرر والاعتماد على النفس اعتماداً كلياً.

#### ٥- الاضطرابات الاجتماعية:

كثيراً ما ينشأ التعارض الشديد بين الأبوين، والمحيطين بالمراهق، من حيث تقلبهم الرأي، والانصياع له بصورة أو بأخرى، ومن هذا يحدث الصراع النفسي لدى المراهق، وتظهر آثاره في أنماط سلوكه إزاء الوالدين والآخرين، متمثلاً في كثرة المشاحنات والاختلافات والمناقشات الكثيرة التي تتصف بالعناد والإصرار الشديد، وما قد يقابل ذلك من اضطهاد وعنف من الوالدين أو الأقربين، مما يزيد من عدم توافق المراهق في حياته الاجتماعية.

#### ٦- الخصائص الدينية:

يلاحظ في هذه المرحلة العمرية الحساسة من عمر المراهق، ظهور الاتجاه الديني، والتفكير في أمور الدين بصفة مستمرة، ومناقشة الآراء الدينية لدرجة التشكك الشديد الواضح فيها، أو الالتزام التام بالعقيدة بالالتزام كامل.

#### ٧- الخصائص المعرفية العقلية:

تتميز مرحلة المراهقة من الناحية المعرفية العقلية لطلاب المرحلة الثانوية بتمايز يؤدي بالمراهق إلى تنوع السلوك وتباينه، وفي هذه الفترة تظهر القيادات والريادات والزعامات، فيظهر الرياضيون، والخطباء، والرسميون، والشعراء والرواد الاجتماعيون. (عبد المجيد سيد، وآخرون، ٢٠٠١: ١٥٧ - ١٥٩)

#### • المدرسة الثانوية واختلاط الجنسين من المراهقين:

يذكر مصطفى فهمي (١٩٧٨ : ١٧٤) أن "الطالب إذا التحق بالمدرسة الثانوية واجه عدة مشاكل أو مواقف جديدة عليه، تحول بينه - عادة - وبين التكيف مع المدرسين والزعماء ومواد الدراسة، كل هذه المشاكل تتجمع وتسبب له الحيرة والارتباك، إلا إذا حصل على التوجيه والمساعدة لمواجهة هذه المشاكل.

كما يرى إبراهيم قشقوش (١٩٨٠) أن الفرد يبدي ميلاً مقتنعاً أو مستتراً نحو الجنس الآخر مع حلول فترة البلوغ، ويعبر هذا الميل المستتر عن نفسه بأخذ صور متعددة منها اختلاس النظرات، أو إتيان سلوك معاد نحو أفراد الجنس الآخر، بهدف استثارته ومضايقتهم، وتخطر مجموعات كل من البنات والأولاد في مثل هذه الممارسات السلوكية، ويهدف كل طرف من وراء استخدام ما ينتجه منها إلى استثارة الآخر وجذب اهتمامه.

(هدى قناوي، ١٩٩٢: ١١٢)

وتنمو الصداقات بين الجنسين تدريجياً أثناء الفترة المتوسطة من المراهقة (دونفى Dunphy ١٩٦٣) وقد تكون هذه الصداقات عادة غير لبقية وأحياناً تتسم بالمعاداة (دوفان وادلسون Dovan & Adelson ١٩٦٦). ولكنها تهيئ الفرصة لتوافق الفرد مع الجنس الآخر، كما تسمح أنشطة الجماعات المختلفة بتوافر الاطمئنان لجماعة أقران من جنس واحد، ولكنها تسمح أيضاً بالتفاعل في جماعات أقران من الجنس الآخر، ومع اكتساب الفرد للألفة والثقة مع أقران الجنس الآخر، دون معاونة من مجموعة الأقران من نفس الجنس، ينتج عن ذلك مزاوله اللقاءات وقد درس عدد من الباحثين تطور الصداقة والعلاقات مع الجنس الآخر (فاولر Fawler ١٩٦١، هوليهان Houlehan ١٩٦٥، برودريك Bruderick ١٩٦٦، كولن Kuhlen ١٩٧٦، ماير Mayer ١٩٧٩)، ويقول "ماير" من الملاحظ أن النسبة المئوية للصبيّة الذين اختاروا فتيات، والفتيات اللاتي اخترن صبيّة كشركاء في المقاعد

والمشاركة في اللعب وفي الدراسة وغير ذلك من الأنشطة قد ارتفعت بدرجة كبيرة بين الصفيين (٦، ١٢) وازدادت بقدر كبير لكل المراهقين خلال السنوات (١٩٤٢ - ١٩٦٢).

وتلقى الدراسة التي قام بها ماير Mayer (١٩٥٩) بعض الضوء على هذا الموضوع فقد درس دور التعزيز في الصداقة المختلطة في عينة من الصبية والبنات في الصفوف من ٥-١٢ سنة ، وكان كل فرد يحكم على الفرد الآخر طبقاً للدرجة التي يظهر فيها الطفل تعاطفه ومرحه ، وقد جاء حكم كل من الصبية والبنات على الأقران من نفس الجنس بتقدير أعلى من أقران الجنس الآخر، مما يدل على أن اقتران الجنس الواحد يشبع الاحتياجات الاجتماعية بشكل أفضل من أفراد الجنس الآخر.

وعلاوة على ذلك لم يكن هناك أي تغير في هذا النمط فيما يتعلق بالمستوى الدراسي وتدل النتائج على أن التفاعل مع أقران من نفس الجنس كان أكثر تعزيزاً مما هو مع أقران من الجنس الآخر وقد ظهر اتجاه نمائي عند مستوى الصف الثامن تقريباً، إذ قام الصبية بانتقاء الفتيات والعكس صحيح من أجل اللهو وهو قياس لمن يكون على استعداد لقضاء وقت ممتع. وتتفق النتائج التي توصل إليها ماير Mayer (١٩٥٩) مع وجهة النظر الخاصة بالتعلم الاجتماعي لنمو علاقات الأقران، ولما كانت اللقاءات الاجتماعية تؤدي إلى تعزيز الارتباط مع الجنس الآخر فإن الصداقات المختلطة تتزايد ويؤدي ذلك إلى تغيرات في مجموعة المراهقين وشللهم.

كما يرى محمد مصطفى الشعيبي (١٩٧٨) أنه في المدرسة الثانوية يبدأ المراهق في تكوين جماعة الرفاق، والتي تمثل في هذه المرحلة أهمية كبرى، وتزداد حاجة المراهق إلى تكوين علاقات وطيدة مع من في سنه، وذلك لأنه يعتقد أن الكبار لا يمكن لهم أن يفهموه الفهم الكافي، ومن هنا فإن (المراهق) أو (المراهقة) الذي لم يكتسب الشخصية التي تتيح له أن يكون أصدقاء، يجد نفسه في موقف يدعو للرتاء ويصبح في موقف حرج لأنه على الرغم من شعوره بالحاجة إلى أصدقاء، فهو عاجز تماماً عن فهم الأسباب التي تؤدي به إلى الإخفاق في تكوين صداقات بينه وبين رفاقه، أو أنداده.

(محمود محمد عطية، ١٩٩٧: ٥٢ - ٥٣)

كما يذكر نعيم الرفاعي (١٩٨٦ : ٢٠٣) أن المدرسة الثانوية تستقبل الطلاب وهم على أعتاب مرحلة المراهقة، وهي مهمة جسيمة حيث يعاني المراهق في هذا السن من عدة أزمات مرتبطة بنموه، ودراسته، وتفكيره في مستقبله، وموقفه من حياته الحاضرة، وقد يتغلب التلميذ على كل أزماته، وقد يلاقي بعض الصعوبات في حل بعضها، وليس التغلب على

الأزمات بالأمر السهل، لذلك نجد بين تلاميذ المدرسة الثانوية الكثير من القلق، والصراعات، والسلوك العدواني.

#### • المدرسة الثانوية الموحدة:

هي مؤسسة تعليمية حكومية يتلقى الطلاب فيها تعليمهم في جميع المواد منفصلين عن الجنس الآخر.

(صبرة محمد علي، ١٩٨٣ : ٩)

#### • المدرسة الثانوية المختلطة:

هي مؤسسة تعليمية حكومية يتلقى فيها البنين، والبنات تعلمهم معاً في نفس الفصول في جميع المواد، ويقوم بتعليم جميع الطلاب نفس المدرسين، الذين يستخدمون طرقاً ومواداً دراسية موحدة مع البنين والبنات.

(صبرة محمد علي، ١٩٨٣ : ٩)

وفي التعليم المختلط "Co – Education" يذكر حنفي إمام (١٩٨٥) أنه " ذلك النمط الذي يجمع بين الطلبة والطالبات في قاعات الدرس، ومختبرات التجارب والأنشطة العلمية المختلفة، والموجهة بدقة وعناية كافية تحت رعاية الجامعة".

(حنفي إمام، ١٩٨٥ : ١٣٨)

وترى فاطمة عبده علوان (١٩٩٢ : ٦) أن التعليم المختلط هو "ذلك النمط التعليمي الذي يتواجد فيه الطلاب الذكور مع الطالبات الإناث في نفس الفصول التعليمية، والمعملية، وأماكن مزاولة الأنشطة التعليمية والترفيهية على السواء".

وقد ظهر التعليم المختلط في المدارس الخاصة المصرية، والأجنبية في حين ظلت المدارس الحكومية موحدة الجنس، إلى أن صدر قرار عام (١٩١٨) بنشر التعليم الأولي وإنشاء مدرسة في كل قرية تستوعب نسبة (٨٠%) من بنينها، ونسبة (٥٠%) من بناتها على الأقل، فظهر التعليم المختلط في المرحلة الابتدائية كاستثناء تابع لإمكانات كل بلدة، حتى صدر القانون رقم (٢١٣) لسنة ١٩٥٦م والذي نص على " تحويل المدارس الحكومية الابتدائية للصورة المختلطة تماشياً مع الآراء الغربية السائدة في هذا الوقت.

(محمد خيرى، والسيد الغزاوي، ١٩٥٨ : ٤٨-٧٣)

ويذكر إميل فهمي (١٩٧٥ : ١٧٠) أنه لم يبق سوى عدد ضئيل من المدارس الابتدائية الموحدة الجنس، وذلك في نطاق التعليم الخاص فقط، مثل مدارس: القديس يوسف، والراهبات الكاثوليك، والمردى ديو، ومدارس جمعية العروة الوثقى الإسلامية.

كما ظهر تباعاً لهذا القانون التعليم المختلط في المرحلتين الإعدادية، والثانوية، وذلك في المناطق التي لا تفي إمكانياتها بإنشاء مدرسة خاصة لكل جنس.

(فاطمة علوان، ١٩٩٢: ١٠)

ويتضح من ذلك أن السعي لتحقيق اختلاط التعليم بين الجنسين كان دافعه الأساسي إتباع الآراء التربوية لعلماء الغرب مثل " جون ديوي " John Dewey، والتي حرصت على التأكيد على أهمية الأثر الإيجابي للاختلاط في التعليم، ومدى أهمية ذلك للتنافس الدراسي والنمو الانفعالي، والاجتماعي للطلاب.

#### • الآثار السلبية للتعليم المختلط على المراهقين من الجنسين:

تتميز مرحلة المراهقة بتبلور الاهتمام بالذات لدى الفرد، وقد توصل " لي وبيريك " Lee & Bryk (١٩٨٦) إلى أنه يوجد انخفاض في مفهوم الذات لدى الطلاب في ظل التعليم المختلط، وفسراه بما يواجهه الذكور من النقد من جانب الإناث بما يجعلهم دائمي الشعور بالحذر، ولوم الذات وإنقاص قدرها، وما تواجهه الإناث من ضعف أدوارهن في الحياة المدرسية المختلطة وتجنبيهن الأعمال الريادية بها.

(Lee & Bryk, 1986: 388)

كما توصل كولمان Colman (١٩٦١ : ٩٣) إلى أن التعليم المختلط في مرحلة المراهقة يدفع الذكور إلى التقلل من بعض خصائص الذكورة (كالقوة والفظاظة)، والتقلد ببعض خصائص الأنوثة (كالرقة والأناقة)، كما يدفع الإناث إلى التقلل من بعض خصائص الأنوثة (كالطاعة والرقّة) والتقلد ببعض خصائص الذكورة (كالقوة والاستقلال والتمرد). أيضاً توصل مارش March (١٩٨٩) إلى أنه يوجد انخفاض لمفهوم الذات اللغوية للذكور في ظل التعليم المختلط، بينما لم يتوصل إلى أي أثر دال للتعليم المختلط على كل من مفهوم الذات، وتقدير الذات لدى الجنسين.

(March, 1989: 71 – 72)

ولقد توصل جونز وشالكروس Jones & Shallcrass (١٩٧٢ : ٣٤٠) إلى وجود أثر ضار للتعليم المختلط على قيم ومعتقدات واتجاهات الطلاب في محيط (المدرسة والرفاق والعائلة والمجتمع) على السواء، وكانت الأهداف الأساسية لطلاب المدرسة المختلطة هي " نيل الشهرة، وقضاء وقت ممتع، والتفوق في الأنشطة، وكان آخر الأهداف هي النجاح الدراسي، كما اعتبر الطلاب صدمة فقدان الصديق، كصدمة أشد إيلاماً لهم من فقدان أحد الأيوين.

ويرى كولمان Colman (١٩٦١ : ٩٧) إن المدرسة المختلطة تعمل على تشويش فكر المراهق وتبعثر اهتماماته، حيث تظهر اهتمامات جديدة، مثل العناية بالمظهر والجاذبية – فهي تتخذ مكان الصدارة للمراهق بدلاً من الاهتمامات المعرفية، وذلك في تحديد مركز المراهق بين أقرانه.

#### • الآثار الإيجابية للتعليم المختلط على المراهقين من الجنسين:

ولا يعني أن الآراء المختلفة للعلماء السابقين في التعليم المختلط بأن له آثار سلبية كبيرة على المراهقين من الجنسين أنه لا يوجد جوانب إيجابية في التعليم المختلط، بل يوجد الكثير من الآثار الإيجابية، فقد توصل عدد من العلماء إلى وجود أثر موجب للتعليم المختلط على عدة جوانب من البيئة المدرسية، فقد توصل " ديل " (١٩٦٩)، (١٩٧١)، (١٩٧٤) إلى أن البيئة التعليمية المختلطة أكثر مناسبة لعمليات التطبيع الاجتماعي للطلاب فهي توفر:

- صداقة بين المراهقين داخل المدرسة ومعلميهم في جو مشبع بالبهجة والسعادة.

- علاقات موجبة بين المعلم والطلاب من الجنسين من المراهقين.

- علاقات قوية حميمة بين الجنسين من الطلاب المراهقين.

(فاطمة عبده، ١٩٩٢: ١٢)

وفي المقابل توصل عدد آخر من العلماء إلى وجود آثار موجبة للتعليم " موحد الجنس" على جوانب أخرى من البيئة المدرسية" ويتفق مع رأي هؤلاء العلماء كولمان Colman (١٩٦١ : ١٣٨) حيث يرى أنه يوجد الالتزام بالنظام المدرسي، وارتفاع مستوى الاهتمام التحصيلي داخل المدرسة الموحدة الجنس.

وترى الباحثة أنه ليس من اليسير على المراهق أن يواجه مرحلة المراهقة وحده بشكل منفرد وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي حيث أنها مرحلة تمهيد وانتقال للجامعة ، ولذا تحتاج أسرة المراهق إلى الوعي الثقافي الكافي لمساعدة ذلك المراهق على مواجهة هذه المرحلة، وتعتبر المدرسة الثانوية بنمطي التعليم (الموحد والمختلط) بداية لمرحلة جديدة هي الجامعة وتتطلب هذه المرحلة الحرجة للمراهق الاهتمام البالغ من المربين سواء كانوا الأبويين أو أولي الأمر لذلك المراهق ، فيجب مراعاة الآتي في التعامل الأبوي: يجب على الوالدين مراعاة المراهق في هذه المرحلة الحرجة من حياته بالتوجيه، والإرشاد بطريقة سليمة لا إجبار فيها، من حيث تزويده بالمعلومات (الثقافية والدينية)، وإشباع دوافعه الملحة في معرفته بتكوينه الجنسي والجسمي وكذلك الجنس الآخر على السواء وذلك لكي يكون لدى ذلك المراهق الخبرة الكافية لمعرفة كل ما يتعلق بذاته أو بذات الجنس الآخر من زملائه أو رفقاءه في هذه الفترة من تغيرات عديدة. وللمدرسة الثانوية أيضاً دور هام في حياة المراهق حيث إن المدرسة الثانوية، وهي المؤسسة التعليمية التي ترعى المتعلمين في هذه المرحلة العمرية من المراهقين تهتم بكل ما يتعلق بهم من أمور وموضوعات واتجاهات، ولهذا يجب أن تقوم المدرسة بتشكيل التنظيمات الطلابية، والجماعات المدرسية، والفرق الرياضية، والفرق التمثيلية وتهيئ الرحلات، والندوات والمناقشات، ويفيد هذا في تحقيق القدر الأكبر من الاستفادة للمتعلم بالمرحلة الثانوية وإتاحة الفرصة له لممارسة الأعمال التي تتفق وميوله مستقبلاً، وأخيراً إذا تم

الاتفاق بين أهم مكونين رئيسيين لشخصية المراهق وهما (المدرسة والأسرة) في تشكيل القدر الأكبر من شخصية ذلك المراهق الإنسان سوف يصبح إنساناً سوياً يتمتع بأكبر قدر من الصحة النفسية ومن ثم يساهم في بناء ذاته وأسرته، ومجتمعه.

### المراهق وأسرته:

إن الأسرة كائن حي يولد، (يحيا ويموت)، وإنه يعيش ويتغذى من العناية والتضحيات اليومية بين الزوجين، وإن المشاكل اليومية التي تحدث بينهما بسبب مشكلاتهم الانفعالية، كثيراً ما تؤدي إلى الإهمال في تربية وتنشئة أولادهم، ومن أهم المشكلات التي يتعرض لها المراهق في حياته اليومية والتي تحول بينه وبين التكيف السليم، هي علاقة المراهق بالراشدين وعلى وجه الخصوص الآباء، ومكافحته المستمرة للتححرر من سلطات الراشدين.

ويرى كمال دسوقي (١٩٧٩) أن الأسرة هي التي تمد الطفل بالتراثين البيولوجي والاجتماعي اللذين يطلقان ملكاته وقواه، كما أن الأسرة أول مجال تشبع فيه حاجات الطفل الجسمية والنفسية، ومن الناحية الاجتماعية نجد الآباء يورثون أبناءهم العديد من الخبرات السابقة التي وصلت إليهم من آبائهم والتي تؤثر بدورها على نموهم ، حيث إن الأبناء حين تصلهم هذه الخبرات، فإنهم يتمثلونها من خلال ملاحظة وتقليد آبائهم سواء في اتجاهاتهم وعقائدهم وطرق تفكيرهم ومعيشتهم وما إلى ذلك. (هدى قناوي، ١٩٩٢ : ٨٤)

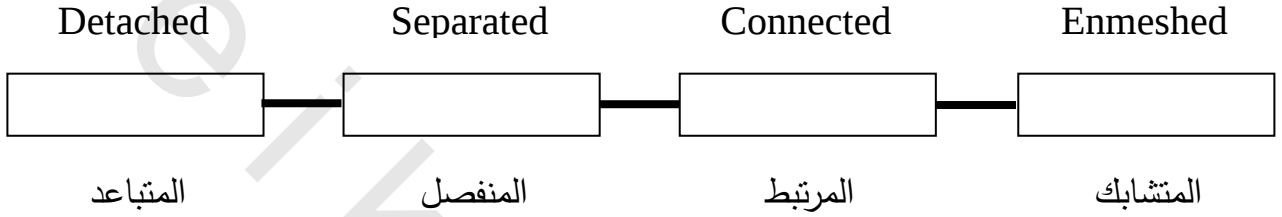
كما يرى محمد خالد الطحان (١٩٨٠) أن الحياة الأسرية ذات أثر بالغ في تكيف المراهق الشخصي والاجتماعي، كما أن التربية الأسرية وخاصة الوالدية التي يخضع لها معظم المراهقين، تترك آثاراً سيئة على شخصياتهم، وتؤثر سلبياً في تكيفهم الشخصي والاجتماعي مما يسبب للمراهق ألواناً من الإحباط والقلق يدفع به إلى سوء التكيف، وعدم التمتع بالصحة النفسية بشكل مناسب، لذلك فإن مواقف الآباء نحو أبنائهم تلعب دوراً مهماً ورئيسياً في تكيفهم، كما ترسم ملامح سلوكهم في المستقبل. (هدى قناوي، ١٩٩٢ : ٨٤)

ويذكر مصطفى غالب (١٩٨٢ : ٥٣) أن مستوى المراهق من النمو، يتوقف لدرجة كبيرة على اتجاه الوالدين، وعلى الوضع الاجتماعي السائد في المنزل وليست الأجواء المنزلية من نمط واحد، فهي تختلف من بيت لآخر، فبعض البيوت تبدو أنها أماكن طيبة لرعاية الأطفال، بينما تبدو الأخرى على العكس منها، ومن هنا فمعرفة مقومات المنزل الطيب بالمقارنة بالمنزل الرديء، والدور الذي يلعبه كل منهما في تشكيل نمط المراهق السلوكي هي الخطوة الأولى نحو فهم هذا المراهق وتوجيهه توجيهاً يحقق له التكيف السليم.

ويؤثر المناخ الأسري في عملية الاتصال داخل الأسرة، فإذا كان المناخ الأسري سوياً كان الاتصال داخل الأسرة سوياً ، وبذلك تكون الأسرة عاملاً في سواء المراهقين ، أما إذا فشلت الأسرة في تحقيق هذا الاتصال السوي فإنها تكون أسرة مولدة للمرض.

وقد صنف سلفادور مينوشن Minuchin الأسرة من حيث التماسك Choesion إلى أربعة أنماط: المتشابك Enmeshed، والمتباعد Detached والنمط المتشابك علاقاته كثيفة ومتداخلة بحيث تعوق حرية الفرد واستقلاله، والنمط المتباعد تقل فيه العلاقات، وتكون الاتصالات قليلة وهامشية، ويوجد بين النمطين السابقين النمط المرتبط Connected، والنمط المنفصل Separated، وفي النمطين الآخرين يشعر الفرد بحريته، ويحدث النمط المرتبط مناخاً أفضل.

شكل (٥) أنماط تماسك الأسرة



(علاء الدين كفاي، ١٩٩٧: ٤٦٧)

ويذكر مصطفى فهمي (١٩٦٧ : ٢٧٣) أن "أريكسون" يرى أن الصراع بين المراهق ووالديه إنما يرجع إلى ما يعرف بأزمة البحث عن الهوية، فعندما يدرك المراهق أن له شخصية فريدة ذات خصائص متميزة يأخذ في خلع رداء التعلق الطفلي وفي التخلص من عادة التقبل السريع لأحكام أبيه أو أمه.

ويعتبر أريكسون من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى دور "تكوين الهوية" في نمو المراهقة حيث عرف نهاية فترة المراهقة بأنها "الوقت الذي يصبح فيه المراهقون متأكدين بصورة معقولة فيما يعتقدون فيه بالإضافة إلى وضوح بصيرتهم فيما يريدون عمله في حياتهم". فالإحساس بالهوية الشخصية يعتبر نتاج كل ما تعلمه المراهقون عن أنفسهم في أدوارهم المختلفة كتلاميذ، كأبناء، كرياضي، كموسيقي، كصديق، كعضو في جماعة دينية، ككاتب في متجر، وهكذا.. وبمجرد أن يحصل المراهق على هذه النظرة المتكاملة لأدواره وميوله وقدراته واتجاهاته بالإضافة إلى تأثير الأشخاص الآخرين، كل ذلك يعطي المراهق الإحساس بالاستمرارية مع ماضيه، ويساعده على الأعداد لمستقبله.

(عادل الأشول، ١٩٩٨: ٥٦٥)

### إتجاهات المراهقين نحو آبائهم:

كلما أصبح المراهقون أكثر استقلالاً وأكثر نضجاً اجتماعياً نجد إتجاهاتهم نحو آبائهم عادة ما تتغير، وتشير نتائج دراسة Joseph (١٩٦٩) إلى أن المراهقين قد يتصورون في

بعض الأحيان أسباباً مقبولة ظاهرياً في الانصراف عن آباءهم، فكثيراً ما نسمع منهم بأن آباءهم قد أصبحوا غير ذوي جاذبية لهم، كما نجد بعض المراهقين خاصة في منتصف فترة المراهقة قد يصبحون ناقدين بصورة أكبر لنهر آباءهم من الجنس الآخر، فقد نجد الذكور يتدمرون أو يدممون عن هيئة شعر أمهاتهم وملابسهن، ووزنهن ومكياجهن، كما قد نجد الإناث يتدمرون بأن آباءهن قد فقدوا شعورهم، ويلبسون ملابساً عتيقة الطراز أو مهملات كما قد يجد المراهقون كثيراً من الأفعال الخاطئة أو غير الصائبة في أنماط سلوك آباءهم، فقد يشيرون إلى أن آباءهم يدخنون بكثرة أو أنهم يمارسون ضبطاً وتحكماً عليهم أكثر من اللازم، أو أن لهم أصدقاء غير متحضرين، أو أنهم أصبحوا لا يتسمون بالاجاذبية، وأنهم يحولون الحياة إلى حياة مملة سئمة، وهكذا - وهذه الانتقادات لا تعني بالضرورة تقليل حب المراهق لأبويه، إلا أنها تعني إشارة المراهق إلى أن أبويه قد أصبحا من جيل مختلف عن جيله، وأن لهم نظرة مختلفة، وبالتالي فإن الآباء يجب ألا يشعروا المراهق بالإحساس بالذنب في بحثه وسعيه لارتباطات رومانسية مشبعة والاستمتاع بها داخل جيله أو جيلها.

وتشير نتائج دراسة Von & others (١٩٦٩) إلى أن تأثير المراهق بأبويه يختلف إلى حد ما مع الموقف، فمثلاً فإنه يميل بصورة أكبر إلى الاستماع لأبويه أكثر من جماعة رفاقه في بعض الأمور الخاصة بمستقبله التربوي وأهدافه وتخطيطه المهني، بالإضافة إلى كيفية تعامله مع العلاقات الشخصية المتبادلة بينه وبين الآخرين، ومن جانب آخر نجده يميل بصورة أكبر إلى جماعة الرفاق في ثمة أمور كالملبس وكيفية التعامل مع الأقران، وكيفية قضاء وقت الفراغ. (عادل الأشول، ١٩٩٨: ٥٦٣ - ٥٦٤)

### **تنشئة المراهق الاجتماعية ونظرية التعلم الاجتماعي:**

تذكر هدى قناوي (١٩٩٢) أن لعلم الأنثروبولوجيا مقابلاً نفسياً في نظرية التعلم الاجتماعي، وهو ما يفسر النمو على أساس تعلم المثير - الاستجابة، والتقليد حيث يقلد الطفل سلوك الكبار من خلال استخدام النماذج، ويأخذ الطفل نموذجاً وقوة من الكبار ويطابق بين سلوكه وسلوك القدوة. وتشكل العوامل الثقافية النمو الاجتماعي من خلال تعزيز السلوك المرغوب فيه ومن خلال نماذج لسلوك الدور الملائم .

وقد ناقش جويرتز Gerertz (١٩٦٩) وبندورا Bandura (١٩٦٩)، وولترز Walters (١٩٦٣) تأثير هذه النظرية على النمو في المراهقة، ويمكن أن نذكر وجهة نظرهم باختصار وهي: " إن الفرد يستطيع اكتساب سلوك جديد تحت شروط معينة من خلال التعلم المباشر وبملاحظة الآخرين".

ويفسر أصحاب نظرية "التعلم الاجتماعي" سلوك المراهقين على أساس القمع الثقافي والتوقعات الاجتماعية، ويفترضون أن سلوك المراهقين هو نتيجة تربية الطفل الذي تعلم أدواراً معينة، وبالتالي فإن عملية التنشئة أو التطبيع الاجتماعي هي المسؤولة عن نمو الفرد سواء كان سوياً أو كان منحرفاً إذ ينبثق النمو من التنشئة الاجتماعية في فترة الطفولة المبكرة، ويظل مستمراً في المراحل اللاحقة، وعلى ذلك فإن النمو يكون مستمراً وهو يمثل "حاصل التنشئة الاجتماعية، وليس حاصلًا للنضج".

(هدى قناوي، ١٩٩٢: ٢٨ - ٢٩)

وتتصف المراهقة بالانسحاب من معايير ثقافة الراشدين، وتبعاً لنظرية التعلم فإن هذا الانسحاب غالباً ما يحدث عن طريق سلوك لا اجتماعي غير مرغوب فيه، وقد يظهر من خلال تقبل ثقافة جماعة الرفاق والتي تعتمد على خبرات تعلم الفرد، فإن السلوك الاغترابي والجناح أثناء فترة المراهقة عادة ما يرتبط باتجاهات والدية قاسية وعدم اتساقية من قبل الوالدين، وعموماً فإن هذه النماذج الوالدية بالإضافة إلى وسائل الإعلام يمكن أن تسهم في تعلم السلوك غير المرغوب فيه للأطفال الصغار وكذا المراهقين.

(عادل الأشول، ١٩٩٨: ٥١٢)

كما أن هناك مصدراً آخرًا من مصادر الصراع للمراهقين، تبعاً لمواجهة النظرة الانثروبولوجية هي غياب ما يسمى "بالشعائر الانتقالية" Rites of Parrage كما تشير كل من بينديكت Bendict (١٩٣٨)، وكنبلر Knepler (١٩٦٩)، حيث نجد الآباء يتصرفون بثنائية المشاعر Ambivalents نحو مراهقيهم، نحو مركزهم الاجتماعي والسلوك الفعلي لأولادهم، فمثلاً قد يشير الآباء لمراهقينهم بأنهم قد كبروا بصورة كافية لكي يحملوا بعضاً من المسؤولية حول شئونهم الأسرية، وفي نفس الوقت يرفضون إعطاءهم بعض الأشياء كالسيارة مثلاً، أو أن يمتثلوا في حفل ما إلى منتصف الليل، وكثير من الدراسات النفسية قد أشارت إلى أن المراهقين على الرغم من إعطائهم الحركة في التفاعل مع جماعاتهم، إلا أنهم يعاملون من جانب آخر كأطفال داخل منازلهم.

ولقد أشارت بعض الدراسات، أن هناك اهتماماً زائداً بنبذ الاعتمادية وتعزيز الاستقلالية عند المراهقين، إلا أن ذلك قد يؤدي بالمراهقين إلى الشعور بالإحباط، فأثناء هذه الفترة يتعلم المراهق أن المركز الاجتماعي يأتي فقط من خلال العمل والكفاءة الذاتية.

ويشير كونجر وآخرون Conger & et.al (١٩٧١) إلى أننا في حاجة إلى أن ننظر بصورة مليّة إلى العلاقات الأسرية المتغيرة والأدوار الوالدية المعاصرة والتغير الاجتماعي السريع، فإن ذلك سيؤدي إلى تفهم عميق للمراهق والراشد، مؤداه إلى أننا يجب أن نبدأ منذ البداية، ويجب أن ندرس الطفولة واحتياجاتها ونلاحظ كل خطوة في نمو الطفل وتفاعله مع

عالمه المحيط به، وبهذه الطريقة فقط يمكننا أن نحل كثيراً من غموض وألغاز الأنماط السلوكية الإنسانية في فترة المراهقة. (عادل الأشول، ١٩٩٨ : ٥١٤)

### • الأسباب الرئيسية في مشكلات المراهق الانفعالية:

يعتقد علماء النفس أن حساسية المراهق الانفعالية، واضطرابه الانفعالي يرجع إلى عدم قدرته على الانسجام مع البيئة التي يعيش فيها، إذ يدرك المراهق عندما يتقدم به السن قليلاً أن طريقة معاملته لا تتناسب مع ما وصل إليه من نضج، وما طرأ عليه من تغير.

ويذكر مصطفى غالب (١٩٨٢ : ٣٢) أن البيئة الخارجية للمراهق ممثلة في "الأسرة" والمدرسة، والمجتمع" وتكمن المشكلة في أن هذه البيئة الخارجية لا تعترف بما طرأ على المراهق من نضج، ولا تأبه له، ولا تقر برجولته، وحقوقه كفرد له ذاتية، ويفسر المراهق كل مساعدة من قبل والديه على أنها تدخل في أموره، وأن المقصود من هذا التدخل إساءة معاملته والتقليل من شأنه، ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه أشكالاً عدة، أهمها: الفساد، والسلبية، وعدم الاستقرار، والالتجاء إلى بيئات أخرى قد يجد فيها منفذاً للتعبير عن طريقته المكبوتة.

كما يرى مجدي الدسوقي (٢٠٠٣ : ١٥٤) إن التغيرات التي تطرأ على سلوك المراهق واتجاهاته إزاء البلوغ، هي في جوهرها نتاج تغيرات اجتماعية أكثر منها نتاج التغيرات الغدية مع عدم إنكار أهمية التغيرات الفسيولوجية في التوازن الجسمي، فإذا كانت البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المراهق أقل تعاطفاً، وكان الآباء والأخوة والمعلمون والأقران أقل تفهماً لأحواله، وكانت التوقعات الاجتماعية منه في هذا الوقت أكبر من قدراته وإمكاناته، كانت الآثار النفسية للتغيرات الفسيولوجية والجسمية بالغة السوء، ويعتمد عمق هذه التأثيرات على سرعة النضج، وتأثيره على التكوين الجسمي العام للفرد من ناحية، وعلى المعلومات السابقة المتوافرة لديه والإعداد السيكولوجي الملاحق لهذه التغيرات من ناحية أخرى، وفي حالة عدم وجود أي تمهيد، أو حينما يكون هذا الإعداد في صورة معلومات غير دقيقة أو غير كاملة فإن ذلك يؤدي إلى تكوين اتجاهات غير سليمة، وحينئذ تكون تأثيرات البلوغ على السلوك بالغة السوء.

إضافة إلى ذلك أن هناك سبباً آخر، وهو العجز المالي للمراهق، الذي يقف دون تحقيق رغباته، فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة، وهو في الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم، أو الاشتراك في مسراتهم، ويسبب له كل ذلك "الضيق والشعور بعدم الطمأنينة".

ومن الأمور الأخرى التي تسبب قلق المراهق واضطرابه، شعوره بأن الأسرة تطلب منه تحمل المسؤولية، فهو في نظر والديه لم يعد بعد الطفل الذي تجاب كل مطالبه، دون تحمل للمسئوليات، ولكنه أصبح مراهقاً يجد نفسه مطالباً أمام والديه بأن يعتمد على نفسه في وقت تعجز فيه إمكانياته عن تحقيق رغبتهم ، أيضاً يساهم في قلق المراهق ما يتصل بالأسرة والمدرسة معاً، وينشأ عن هذا القلق والاضطراب نوع من التمرد، تمرد موجه نحو الوالدين، ويتمرد آخر موجه نحو المسؤولين في المدرسة، إن تمرد المراهق على السلطة العائلية، والسلطة المدرسية، بسبب القيود التي تفرضها المدرسة والأسرة، والتي تحول بينه وبين تطلعه إلى التحرر والاستقلال. (مصطفى غالب، ١٩٨٢ : ٣٤-٣٥)

ويضيف مجدي الدسوقي (٢٠٠٣ : ١٥٨) أنه من المشكلات الأخرى الهامة التي يواجهها المراهق هي (فقدان الثقة بالنفس) فبعد أن كانت ثقة الطفل بنفسه زائدة، وتسيطر عليه مشاعر الزهو والغرور، يصبح عند البلوغ أقل ثقة بنفسه، حيث يشك في قدراته ويشعر أنه أصبح أقل كفاءة من الناحيتين الشخصية والاجتماعية، وقد يختفي هذا الشعور وراء كثير من أنماط العناد التي يبديها، فرفضه للأعمال والمهام المتوقعة منه ينشأ عن خوفه من العجز، كما قد يختفي وراء كثير من التباهي والتفاخر بقدراته، مع الانسحاب عندما يطلب منه أداء المهام والأعمال موضع هذا التباهي، وهكذا يكون مفهوم الذات لدى المراهق غير مستقر، وينشأ معظم الشعور بعدم الثقة لدى المراهقين في فترة البلوغ من الأسباب الآتية:

- نقص المقاومة الجسمية والقابلية الشديدة للتعب.
- الضغوط الاجتماعية المستمرة التي تستلزم القيام بما هو مطلوب منه، أكثر مما كان يؤديه من قبل.
- النقد الموجه من الكبار سواء فيما يخص طريقته في أداء العمل أو لعدم قيامه به.

### المراهق وذاته:

يذكر حامد زهران (١٩٧٢) إنه مع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي والانفعالي يحدث تغير في الشخصية بصفة عامة، وبصفة خاصة في مفهوم الذات الذي يؤثر بدوره في تنظيم الإدراك واستيعاب الخبرات وتحديد السلوك، وفيما يلي بعض الملاحظات على نمو الذات ومفهوم الذات في مرحلة المراهقة:

١. يزداد الوعي بالذات والدقة في تقييم الذات وتمكن الذات النامية القوية المراهق من أن يؤثر في بيئته وفي المواقف الاجتماعية.
٢. يؤثر البلوغ في نمط الشخصية بصفة عامة وفي مفهوم الذات بصفة خاصة.
٣. مفهوم الجسم مهم جداً في هذه المرحلة بالنسبة لكل من الذكور والإناث.

٤. يتعدل مفهوم الذات ويعاد تنظيمه حيث تحدث تغيرات كثيرة داخلية وخارجية تؤدي إلى أن يصبح مفهوم الذات أكثر تأثيراً وغير مستقر ويعاد تكامله ويزداد تكامل الذات مع النمو، وتتعدل الصورة المثالية للذات في مرحلة المراهقة.
٥. يتأثر مفهوم الذات بملاحظات الوالدين والمدرسين والأقران.
٦. قد يتأثر مفهوم الذات تأثيراً سلباً إذا لم يفهم المراهق مبدأ الفروق الفردية وظل عاكفاً على مقارنة نفسه بسابقيه في النضج.
٧. يلاحظ تركيز اهتمام المراهق بنفسه وعلى خبراته وأفكاره وأوجه نشاطه.
٨. يبذل المراهق كل جهده لتدعيم ذاته وحفظها.
٩. يستمر نمو الذات ومفهوم الذات تجاه "مفهوم ناضج للذات" ويقرب المراهق في سلوكه وفي اتجاهاته وقيمه وفي مفهومه الواضح عن ذاته.

(حامد زهران، ٢٠٠١: ٤٢٩)

كما يرى فؤاد أبو حطب وآمال صادق (١٩٩٥ : ٢٦٣) أنه مع تقدم البلوغ، تزداد الفروق بين الجنسين في شكل الجسم وضوحاً، والسبب في ذلك هو النمو التدريجي للخصائص الجنسية الثانوية، والتي تمثل السمات الجسمية التي تميز الذكور عن الإناث. وتذكر هدى قناوي (١٩٩٢ : ١٢٢) أن مفهوم الذات يشير إلى تقييم الفرد لقدراته الجسمية والعاطفية والاجتماعية، والمعرفية، كما أن مفهوم الذات يتأثر بالتغيرات الكثيرة التي تحدث في فترة المراهقة ومنها التغيرات الاجتماعية والبيولوجية، كما يذكر إبراهيم قشقوش (١٩٨٠) إن مفهوم الذات يتأثر بنظرة الآخرين للفرد، وجماعة الأقران من الجنسين كما أن علاقة الفرد بالجنس الآخر من الأمور التي تنطوي على نموه، وتطوره تجاه الحب والجنس والزواج، والتي تتأثر بدورها بتعامل الوالدين وسلوكهما معاً كشريكين في الحياة، وتعاملهما هذا له أثر بالغ بالنسبة لأبنائهما (إذ لا يقتصر تأثير هذه الطريقة على الأبناء كأشخاص أو كأفراد فحسب، بل يمتد هذا التأثير إلى الأبناء في المستقبل؛ نظراً لأنهم يتشربون هذه الطريقة ويحملون من آثارها معهم ما يحدد بالتالي سلوكهم فيما بعد كأزواج وزوجات وكآباء وأمهات). ويشير عادل الأشول (١٩٩٨) إلى أن مفهوم الذات Self - concept يتمثل في تقدير المراهق لقيمه كشخص، وأن مفهوم الذات يحدد إنجاز المرء الفعلي، ويتأثر تأثيراً كبيراً بالأحكام التي يتلقاها من الأشخاص ذوي الأهمية الانفعالية في حياته، وبتفسيراته لاستجاباتهم نحو "الآباء، والرفاق".

كما تشير دراسات عديدة في سيكولوجية النمو إلى الاختلافات الجنسية بين المراهقين والمراهقات في إدراك مفهوم ذاتهم أو تقديرهم لذواتهم ، وتشير دراسات أخرى إلى أن كل من الذكور والإناث عادة ما يكون لديهم نفس القدر من تقديرهم لذواتهم ، ويتضح ذلك من خلال

ثلاثة جوانب للذات هي: الوعي بالذات، ثبات واستقرار صورة الذات، وتقدير الذات عند المراهقين والمراهقات.

#### - وعي المراهق بذاته: Adolescent self consciousness

يتمثل في ملاحظة المرء لنفسه، وفحص ذاته وتدقيقها، ووعي المرء بنفسه والوعي بأن شخصاً آخر يعيه، وعندما يشعر المرء بالارتباك والحيرة فعادة ما يرجع ذلك إلى وجود نقص في الوعي بالذات، وتفسير ذلك أن المرء ربما يخشى أن يراه الآخر في صورة خلاف الصورة التي يرى هو نفسه بها، ولقد حاولت دراسات نفسية عديدة قياس وعي المراهق بذاته لكي تلقى الضوء على كيفية وعي المراهقين بذواتهم في المواقف الاجتماعية، واستخدمت أنماط من التساؤلات في ذلك، فمثلاً: "إذا سألك مدرسك أن تنهض أمام زملائك داخل الفصل الدراسي وأن تتحدث قليلاً عن كيفية قضائك عطلة الأسبوع".

- هل تكون عصبياً جداً؟

- أو تكون عصبياً بصورة ضعيفة ؟

- أولاً تكون عصبياً على الإطلاق؟

وتشير نتائج دراسات سيمونز وآخرون (Simmons & et.al ١٩٧٣) إلى أن وعي المراهق بذاته يزداد بصورة ملحوظة كلما تدرج من طفولته إلى مراهقته المبكرة، ويلاحظ أن معدل الزيادة كانت عند الإناث أكثر مما عند الذكور.

#### - ثبات أو استقرار صورة الذات: Self stability

وتتمثل في مدى استقرار وثبات الذات كما يتصورها أو يتخيلها صاحبها، وعموماً فإن نتائج العديد من الدراسات تشير إلى أنه يوجد زيادة في عدم ثبات واستقرار الذات أثناء فترة المراهقة، كما أن البنات أوضحت عدم ثبات أكبر لذواتهن إذا ما قورن بالمراهقين، كما أنهن يشعرن بشعور أقل إيجابية عن ذواتهن إذا ما قورن بالذكور.

#### - تقدير الذات : Self- Esteem

تشير بعض الدراسات التجريبية أن المراهقات عادة ما يكن أكثر انخفاضاً في تقديرهن لذواتهن إذا ما قورن بالمراهقين، ويرجع ذلك إلى العلاقة الوثيقة بين مظهر الإناث ومفاهيمهن عن ذواتهن ، ففي إحدى الدراسات طلب من المراهقين والمراهقات أن يقيموا ذواتهم وأقرانهم على مقياس يقيس المظهر المثالي، كما طبق عليهم اختبار للشخصية يقيس التكيف الشخصي والثقة بالنفس والإحساس بالقيمة الشخصية واستخرج من تلك البيانات المعلومات المجمعة مقياس "الإحساس بالقيمة الشخصية" ، وتشير النتائج إلى أن كلاً من المراهقين والمراهقات عادة ما يميلون إلى تقييم ذواتهم بصورة متساوية أو أعلى من أقرانهم خاصة في مظهرهم العام، كما تشير النتائج كذلك إلى وجود الارتباط الإيجابي بين تقدير المراهقات لمظهرهن الشخصي، ودرجة تكيفهن، كما أن درجات الإناث كانت تميل إلى الانخفاض في مقياس التكيف الشخصي إذا ما قورنت بدرجات الذكور.

(عادل الأشول، ١٩٩٨: ٥٧٠ - ٥٧٢)

وترى الباحثة أنه لتجنب العديد من المشكلات التي يواجهها المراهق لابد من توافر الآتي:

١- أن توفر الأسرة للمراهق نوعاً من الحب والحنان لأن الحب هو أولى الحاجات التي يحتاج المراهق إلى إشباعها ولكن لابد أن يكون حب متوازن لا يزيد عن الحد فيصل إلى التدليل للمراهق، ولا يقل حتى لا يشعر المراهق بالحرمان والوحدة.

٢- يحتاج المراهق إلى ثلاثة مظاهر لتوافقه النفسي:

• يريد أن يحبه الآخرون.

• يريد أن يحب الآخرين حباً صحيحاً.

• يريد أن يحب نفسه.

٣- يحتاج المراهق إلى المعرفة فيحاول أن يعرف كل شيء ، ويريد أن يقبض على الأشياء جميعها بين يديه، ويتفحصها، وهنا لابد من الحكمة لكي يمكن تنمية ما يمكن أن يكون لدى المراهق من إمكانيات وقدرات ، ويتطلب ذلك من الأبوين مجهوداً شاقاً ولكن بشكل متزن.

٤- النشاط الذاتي، وهذا النشاط من المبادئ الهامة التي جعلها علم النفس أساساً لعملية التعليم، ولا يتوافر ذلك النشاط إلا في عملية " اللعب " وهنا تبدو أهمية الدور الذي يقوم به الآباء والمربون في توجيه المراهقين من الطلاب إلى الأنشطة المناسبة لقدراتهم بشكل عام.

٥- وأخيراً لابد من الود والتفاهم بين أعضاء أسرة المراهق حتى ينشأ ذلك المراهق بشكل متوافق نفسياً واجتماعياً وهذا ما أكدته البحوث الإكلينيكية التحليلية وغيرها بأن الأسر التي يسودها الود والتفاهم، القائمين على الثقة المتبادلة والاحترام والتقدير، والتي تحتفظ بتوازن حكيم بين الحرية والضبط هي الأسر التي تخرج أشخاصاً أسوياء.